د. وايـــن دايـــر
و
لـين لوبـر

مكتبة

معلمي الأعظم

روايـــة

مبنية على نصّ سينمائي
بقلم
«كريستن لازاريان»
و«مايكل غورجيان»

مكتبة | 461

معلمي الأعظم

My Greatest Teacher

معلمي الأعظم

د. واين داير و لين لوبر

مكتبة ٢٠١٩٦١٢

MY GREATEST TEACHER

Copyright © 2012 by Wayne W. Dyer

Originally published in 2012 by Hay House Inc. USA

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر ©

التنفيذ الفني: دار الخيال

الطبعة الأولى 2016

دار الخيال

بناية يعقوبيان بلوك B طابق 3 شارع الكويت

المنارة بيروت

لبنان تلفاكس: 009611740110

www.darelkhayal.com

جديد الكتب والروايات

تابعنا اضغط اللينك

t.me/ktabpdf

t.me/ktabrwaya

facebook.com/newpdf

د. وايـــن دايـــر
و لـيـن لـوبـــر

معلمـي الأعـظـم

مكتبة | 461

مبنية على نصّ سينمائي بقلم
«كريستن لازاريان» و«مايكل غورجيان»

روايـــة

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
منـال الخـطيب

دار الخيال

«الغفران هو العطر الذي تنثره البنفسجة
على الكعب الذي سحقها»

«مارك توين»

الفصل الأول

كانت كنيسة «تشابل أوف ذا تشيمس» مبنى من طابق واحد من الآجر ذي اللون العسلي الفاتح، وقد بدت كما لو كانت مصرفاً في يوم من الأيام، حتى أنَّه كانت هناك نافذة من أجل تقديم الخدمة للعملاء دون أن يُغادروا سياراتهم، وقد لاحظها «رايان كيلغور» وهو يقود السيارة حول المكان، بيد أنَّها الآن مُغطاة بألواح خشبية.

لقد تظاهر أنَّه يبحث عن مكان من أجل ركن السيارة، ولكنَّه في الحقيقة كان يتحيّن الوقت. إنَّه يقود سيارته منذ ساعات، يُغذيه هرمون «الأدرينالين» الرهيب. ما إن وصل الآن، حتى ملأت الحموضة معدته، و لم يعُد مُتأكّداً إن كان ينبغي عليه الدخول أم لا.ما أراده حقيقة هو إيجاد مقعد والاستمتاع بشمس أواخر الصيف، بيد أنَّه لم يعُد هناك مُتسعٌ من الوقت من أجل ذلك.

كان «رايان» في الخامسة والأربعين من عمره، نحيلاً، حليق الذقن، ذا شعر أشقر رمادي قصير، وعينين زرقاوين باردتين، ونظرة سوداوية حزينة. دائماً ما كان الناس يقولون له: «اِبتسم، لا يُمكن أن يكون الحال بهذا السوء!». بيد أنهم من وجهة نظر «رايان» لا يعلمون عمّا يتحدّثون. لقد كان في هذه القرية الصغيرة التابعة لولاية «ميتشيغان»، في ضاحية من ضحايا «ديترويت»، يبحث منذ قرابة الساعة عن مقهى، بعدما أمضى ليلته في غرفة فندق مُتواضع على الطريق السريع.

كانت كلّ المقاهي مُقفلة ما عدا «ماكدونالدز»، المكان المُحرّم عليه من قِبل ابنه الصغير «لوغان» الذي كان يعلم تماماً عدد غرامات الدهون في وجبة «بيغ ماك». بيد أنّ الحاجة الشديدة إلى الكافيين والملح، دفعت «رايان» إلى أن يقود سيارته داخل صفّ السيارات البطيء، ويقوم كضرب من ضروب اليأس، بطلب كوب قهوة من الحجم الكبير، وشطيرة «ماك مافين» بالبيض، وبطاطا مقلية. التهمها بنهم داخل السيارة بينما ما زال المُحرّك يدور، مُلوثاً سرواله بالزيت. ثمّ أخفى الكيس وكوب القهوة تحت مقعده، كما لو كانت أدوات تعاطي المُخدرات، عاد إلى موقف السيارات في الكنيسة، والذي كان قد دار حوله ثلاث مرات.عندما ركن السيارة أخيراً، جلس «رايان» داخلها والنوافذ مفتوحة، وراح يُراقب المُعزّين الكبار

في السنّ، وهم يسيرون ببطء نحو الكنيسة، أو يتكؤون على عكاز، أو مدفوعين على كرسي ذي عجلات. ارتدى الرجال بزات ذات مقاسات غير مُناسبة، تفوح منها رائحة خشب الأرز والنفتلين.

ارتدت النساء بأوراكهن العريضة ووجوههن العجينية ونظاراتهن الملونة، فساتين تبدأ من عند النهدين، وسترة قصيرة، أو بزات مع سراويل واسعة وأزرار نحاسية، وهو صنف الملابس الذي لا زال يتذكّره من حضوره إلى الكنيسة عندما كان طفلاً.

قبل أن ينزل من السيارة، أخرج «رايان» من جيبه صورة باهتة حملها معه منذ وقت بعيد. لقد كان شغله الشاغل طوال أربعين سنة، هو البحث عن الرجل صاحب هذا الوجه، عن أبيه الضائع.

كان يوماً حاراً في مُنتصف آب، وكان كلّ شيء عليه مسحة من بريق ذهبي لمّاع. حدّق «رايان» في مرآته الأمامية، وحاول أن يُعدّل هيئته، تماماً كما كان يفعل قبل البدء بالتدريس، وراح يصطنع نظرة السلطة والنفوذ. سحب ذقنه إلى الداخل ورفع حاجبيه. بيد أنّه لم ينجح في ذلك. عندما نقل نظرته إلى المرآة الجانبية، بدا من غير شكّ، في حالة أسوأ من المُعتاد، مُشوشاً ومنهكاً. قرأ «الأجسام في المرآة أقرب ممّا هي عليه في الحقيقة»، وهي الكلمات

المطبوعة على المرآة بأحرف بيضاء، بيد أنَّه للوهلة الأولى، أخطأ قراءتها ورأى «أكبر سناً ممّا هي عليه». كان يفعل هذا طوال الوقت، إذ يُخطئ في قراءة اللافتات والعناوين. ما الذي كان يحدث له؟

على المقعد الأمامي جانبه، كانت هناك عدة صناديق مفتوحة تحوي كتباً تحمل اسمه بأحرف سوداء كبيرة على واجهة الكتاب وصورته على الوجه الخلفي:

د. «رايان كيلغور»، جامعة القدّيس «جون».

الأرض بلا ملامح: كيف نُسيء إلى كوكبنا مُتعدد الثقافات، ونُدمّرها ثقافة تلو الأخرى.

وكتابٌ ثان بعنوان «جمع المعلومات في الطقوس القبلية، المُجسّد من خلال شعب «مايرونا» في البرازيل».

لقد شكّل هذان الكتابان المحور الأساسي لحياته العلمية طوال عشرين سنة قضاها في التدريس في جامعة القديس «جون» في كوينز، نيويورك، إذ ترقى من منصبه كمُساعد بروفسور، يجلس على مكتب في زاوية مُخصصة لشخص آخر، إلى بروفسور بكلّ معنى الكلمة، يملك مكتباً خاصاً به، وصورة تُرضي كبرياءه على موقع الكلية.

لقد قام بتدريس علم الاجتماع، والعلوم البيئية، بيد أنّ درجة الدكتوراه التي نالها كانت في علوم الإنسان الثقافية «أنثروبولوجيا». كان أفضل ما في التدريس، أنّه نجح من

خلاله في الحصول على ميزانية بحث ضخمة سمحَت له بالبقاء معروفاً وكثير الأسفار. لقد كانت تستهويه المكانة الاجتماعية،وكان يستعمل لقب «دكتور» في كلّ مُناسبة، ويستمتع عندما يظنّ الناس أنَّه طبيب بشري، وهو خطأ لم يسعَ يوماً إلى تصحيحه.

حتى الآن، لم تحظَ الكتب التي ألّفها سوى بجمهور مُتواضع،كانوا تلامذته بالدرجة الأولى، نظراً لأنَّه جعل كتبه نصوصاً مطلوبة في مواده.قد لا يكون هذا الأسلوب الأمثل، لكنَّه فعل ذلك على أيّ حال، فقط من أجل نشوة الدخول إلى الغرفة، ورؤية عشرين شخصاً يجلسون ومعهم كتابٌ يحمل اسمه بأحرف كبيرة على واجهته.

يبدو أنَّه لم يكن هناك مَن يرغب في تبديد وقته على التفكير في تفوّق جماعات قبلية مغمورة.بيد أنه لم يكن يُثير حماس «رايان» سوى هذا النوع من المواضيع: كيف ستنهار الحضارة عاجلاً إذا لم يعترف البشر بقوة المعارف القديمة.

لم يكن هذا الموضوع مُلحّاً إلى درجة استهلال الحديث به، حسبما تقول زوجته «صوفي» التي طوّرَت على مدى سنوات زواجهما العشر، نظرة المُعاناة الطويلة والتي يتذكّرها من وجوه صديقاته السابقات.

كانت أمنية «رايان» والتي تبدو تفاؤليةً الآن، أنَّه عندما

يتمكّن من طبع كتبه على حسابه الخاص، فسيظهر له الناشرون ويتهافتون عليه. لقد كانت تلك الحكمة السائدة لدى العديد من الأساتذة المُساعدين في قسم الجامعة الذي كان يُدرّس فيه، وقد تبناها هو الآخر. بيد أنَّ ذلك لم يحدث مُطلقاً، وبقيت لديه خزانتان مليئتان بالكتب التي لم يقرأها رُبّما سوى خمسين شخصاً.

كانت لديه فكرة غريبة أنَّه قد يُعطي نسخة منها إلى والده، الذي قد يفعل ماذا؟ قد ينبهر وينغمر بموهبة ابنه الذي تخلّى عنه؟ لقد بدا تخيّل هذا الحلم مُثيراً للشفقة إلى حدّ بعيد. ألقى «رايان» منشفة على الصناديق كما لو كان يرغب في إخفائها حتى عن نفسه.

رنَّ هاتفه الجوال، نظر إليه، وكانت زوجته «صوفي» على الخطّ. عندما غادر في الأمس كانت مُنشغلة في إعداد حفل عيد ميلاد «لوغان» التاسع. لا بدَّ أنَّها تُريد التذمّر من «عدم مُشاركته». تجاهل الاتصال، ودسَّ الهاتف في جيبه مرة أُخرى.

سوف يتولّى أمره لاحقاً، فلديه ما يكفيه في الوقت الحاضر.

نظر «رايان» من جديد إلى صورة والده التي بهتت ألوانها. لقد كان يومئذ رجلاً قوياً في الخمسين من عمره، وسيماً بطريقة بالية، كما لو كانت ملامحه قد تآكلت بفعل

عوامل الطقس. كان واقفاً بالقرب من شاحنة، مُعتمراً قبعة رعاة البقر البيضاء، ينظر إلى البعيد نظرة مُحارب.

كان هذا «روبرت كيلغور» الرجل الذي هجر «رايان» وعائلته. كان هناك الكثير من القصص حول المكان الذي توجّه إليه والده، وعمّا كان يفعله على امتداد تلك السنين، والتي تمّ جمعها من أحاديث ترامَت إلى سمعه من هنا وهناك، ومن جلسات تخيّل مُطوّلة اشترك فيها «رايان» وأخوته وهم صغار.

كان أحد الاحتمالات أنَّ «روبرت» ذرع البلاد جيئة وذهاباً في المعارض والمهرجانات. قالت إشاعة أُخرى إنّه كان يكدح في مزارع الأحصنة في الغرب الأوسط، أو في مقالع الحجارة، أو في مصانع تعليب سمك السلمون غرب البلاد. قال «ديف» ظن أخ «رايان» الأكبر، عندما كان الاخوة يجلسون معاً:

«أُراهن أنَّه طيار، يعمل رُبّما لدى «خطوط عبر العالم الجوية TWA»، أو لدى واحدة من تلك الشركات الكبيرة التي تطير بك إلى أيّ مكان في العالم».

قال «جيم»، أخ «رايان» الأصغر، مُحاولاً التعبير عن رأيه: «أعتقد أنَّه في مُهمّة لتطبيق القانون»، ثمّ أضاف: «مُتخفياً على الأرجح. رُبّما في مُكافحة المُخدرات. أراهن أنَّه يضع حامل المسدس الذي يلبسونه تحت السترة».

لقد بدا كلّ ذلك صعب التصديق بالنسبة إلى «رايان»، فقد واجه صعوبة في تخيّل والده يُؤدّي عملاً من أيّ نوع كان.لقد كان هناك بعض الحقائق المتواضعة المحددة التي سمعها مرة بعد أُخرى: أنَّ مزاج والده عصبيٌّ، وقد كان شديد الغيرة، ومُولعاً بشرب الكحول، وقد بدَت هذه الحقائق قابلة للتصديق.

رفضَت والدته في مدة سنوات الحديث عن والده، باستثناء التأكيد على أنَّه قد تخلّى عنهم.

أخذ «رايان» نفَساً عميقاً وخرج من السيارة ومشى نحو مدخل قاعة الجنازة.

كان الهواء شديد البرودة داخل الكنيسة، وكان هناك سجاد سميك وباهت، وموسيقى «الأورغان» الخافتة. في غرف مُشاهدة مُستقلة بأسماء مثل «السكينة»، «الصفاء»، كانت هناك حشودٌ صغيرةٌ من الناس واقفين على نحو مُتداخل، أو جالسين على كراس قابلة للطيّ. كانت مُعظم الكنائس مُزوّدةً بشاشات من أجل عرض صور الفقيد، والتي يتمّ عرضها تباعاً. اختلس «رايان» النظر إلى إحدى الشاشات التي كانت تعرض على نحو مُتكرر، وفي تكريم صامت، صور مولد، وتخرّج، وزواج رجل مُسجّى في بزة رمادية، والتي يبدو أنَّ أحداً من الحاضرين لم يكن يُتابعها.

لم يكن لدى جدّة «رايان» أيّ من هذه الصور. عندما

دخل «رايان» جناح «السكينة»، رأى لوحة الإعلانات التي ثُبت عليها بعض صور «البولارويد» الباهتة بواسطة مسامير صغيرة خاصة. كانت المراسم الخاصة بها قد بدأت، أبقى رأسه خفيضاً، وكان شديد الحرص على ألا يُلاحظه أحد.

في المُقدّمة، خلف طاولة مليئة بالشموع المُتوهّجة، كان هناك كاهنٌ يتحدّث بنبرة رزينة عن خلاص البشر، وعن إخلاص الأمهات والورع، ممّا أعطى انطباعاً قوياً أنّه كان يتكلّم عن سيدة عجوز لم يلتقِ بها من قبل.

إلتقط «رايان» نشرة من إحدى المُرشدات وهي فتاة تفيض بالحيوية، ذات شعر أسود، ترتدي بلوزة بيضاء مزركشة، وقرطين على شكل إطارات، وقد رمقته بنظرة فاحصة سريعة، كما لو كانت تعرف مَن يكون. كُتب في النشرة: «ارقدي بسلام!»، مع إطار من الورود، وفي وسطه صورة ضبابية لسيدة كادت رؤية وجهها تطرح «رايان» أرضاً.

إنَّها «ماري كيلغور». كانت صورة رأسية تمّ التقاطها على الأرجح في الكنيسة. كان وجهها الشاحب الذي خطته التجاعيد، ينظر إلى الكاميرا بتعابير مُتجهمة، وكأنَّ الصورة تقول: «هذه أنا، إمّا أن تقبلني كما أنا، أو ترفضني». فجأة جلس «رايان» في صفّ المقاعد الخلفي.

إذاً ها هي من جديد، والدة أبيه، التي لم يرها بشحمها ولحمها لأكثر من أربعين سنة. مكتبة

لقد خرجَت معهم في نزهة بعد وقت قصير من تخلّي والده عنه، رُبّما من أجل توفير نوع من الجوّ العائلي له. ما زال يتذكّر «آن ماري» الساخرة والنحيلة، والتي نادراً ما كانت الجدة التي يحلم بها. كان عناقه لها أشبه بلفّ ذراعيه حول سلك بالات.

ما الذي يُمكن قوله عن حياة «آن ماري كيلغور»؟ ليس بالكثير حسب نشرة الكنيسة، فيما عدا تاريخ الميلاد، الزواج، وقائمة بأسماء أولادها: الثاني في القائمة كان والد «رايان» المُختفي عديم النفع.

كانت الجدة «آن» مُمددة في صدر الغرفة، وكان وجهها المُنهك مرئياً حتى من الخلف، ترقد في كفن مُتقن الصنع، يليق بالشخصيات الملكية.

وقف «رايان» ثمّ مشى مُتثاقلاً في خطّ أسفل الممر، وقطع المسافة بأكملها نحو الداخل. كانت الغرفة مليئة بباقات الأزهار التي نادراً ما نراها في الطبيعة، ناهيك عن توليفات مثل: زهرة «سيف الغرلاب» ذات اللون الناري، مع القرنفل ذي الرائحة، والزنبق الشمعي بعذوبته الفائقة.

تهيّجت معدة «رايان» بفعل القهوة الصباحية، والطعام المُشبع بالدهون.

بدا النعش نفسه كما لو كان الأفخم من بين كلّ الطرازات، مُبطن بالساتان، ومصنوع من نوع من المعادن التي تشبه «التيتانيوم»، أشبه بسفينة فضائية مُعدة من أجل السير بالجدة «آن» نحو العالم الآخر.

مَن تُراه دفع كلّ هذه التكاليف ولماذا، من أجل سيدة لم تعرف بالتأكيد الساتان الحقيقي في حياتها؟ حسبما كان «رايان» يتذكّر جيداً، كانت جدته ترتدي فساتين بيتية، ومئزراً وحذاء بالياً.

لماذا لم يشترِ لها أحدٌ معطف فرو أو زهوراً، عندما كانت على قيد الحياة، وعندما كان بمقدورها أن تستمتع بذلك؟ ما الجدوى من لفّها بالساتان الآن، من أجل الخلود أو أيّ كان ما ينتظرنا؟

أوقف نفسه عن التفكير. هذا ما قالت «صوفي» إنَّه يفعله باستمرار، كلّما دنا من إحساس عميق، كان يُلهي نفسه من خلال السخرية والنقاشات الفكرية.

«أنت تتصرّف كما لو كان الجميع جزءاً من كتب الأنثروبولوجيا خاصتك، كما لو لم يكن لهم أيّ علاقة بك».

قال «رايان» ببرود: «لا أعلم عمَّ تتحدثين».

قالت: «أرأيت، ها أنت تفعلها ثانية. أنت تترفّع عن كلّ شيء. تعتقد أنَّك قمتَ بتصنيف الجميع، وأنَّك أفضل منهم».

قال «رايان»: «هذا سخيف!»، لكنَّه لم يستطع إقناعها، وفي نهاية المطاف، كفَّ عن المُحاولة.

في الحقيقة، حتى زوجته كانت ستتفاجأ فيما لو اكتشفَت كم كان ينظر إلى نفسه بازدراء، وانعدام الطمأنينة الذي كان يستتر تحت مظهره الخارجي المُتسمّ بالغرور، وكيف كان توقه الشديد إلى الثقة بالنفس هو وقود حاجته إلى إثبات وجهة نظره، وإلى أن تكون الكلمة الحاسمة من نصيبه.

أدرك «رايان» أنَّه لا بدَّ أن يكون له أبناء وبنات عمومة، وعمَّات كبيرات في أرجاء هذه الغرفة. بيد أنّ الحقيقة أنَّه لم يكن يهتمّ برؤية أيّ منهم. كان هناك وجهٌ واحدٌ في البال. إذا لم يتمكن من رؤية والده، فلن يرغب في رؤية أحد، فيما عدا جدته التي رحلَت الآن بعد تسنع وثمانين سنة من الحياة التي كان على يقين أنَّها كانت مليئة بالصعوبات وخيبات الأمل.

وقف «رايان» بالقرب منها، ورأى الوجه المُتجمّد، واليدين المثنيتين للجدة «آن». كانت ترتدي فستاناً أزرق حريرياً، وصليباً، وزوجاً من أقراط اللؤلؤ. لم يظهر من الجدة سوى نصفها العلوي، وكان القسم السفلي مُغطى، كما لو كان مُدمّراً، أو ضعيفاً إلى درجة تحول دون إظهاره.

كان وجهها قد ذبل مع مرور الوقت، ومع هذا ما برح

الغضب بادياً عليه، كما لو أنَّ أحداً قد أخذ سكيناً وغرس التعاسة في لحمها.

بغضّ النظر عمّا كان يشعر به، كانت تلك السيدة من لحمه ودمه، وكان حمضها النووي دليلاً على وجود والده. اعتنى الحانوتي بمظهرها وزيّن رأسها بإكليل معقود من خصلات شعرها الرمادية المتموجة، وقام بمسحة غير مُتقنة من أحمر الشفاه الوردي، ونفخ وجنتيها بمادة لم يقوَ رايان على تخيلها.

مُنفرداً وللحظة، تمكّن من الوصول إليها ولمس ذراعها، ولكنَّه تمنى لو لم يفعل. لقد كان ملمسها كالإسمنت البارد، قاسياً من الداخل، ومكسواً بطبقة مُتجمّدة من الجلد. في النهاية، ما الحياة سوى الدفء وجريان الدمّ في العروق؟

أغمض عينيه، وهمس جانبٌ قديمٌ منه: «مرحباً جدتي»، كما لو كان يتوقّع منها أن تثب كردة فعل. فتح عينيه مُجدداً، لكنَّها بدت أكثر تعاسة ورهبة من أيّ وقت مضى.

استدار مُبتعداً وهو يُلقي بعصبية نظرة فاحصة على الحشد أثناء مروره بمُحاذاة تنسيقة من الورود الصفراء على شكل قلب، رسمَت كلمة «أُمّي». من الواضح، أنّه كان يجدر به إرسال الورود.

كان لديه إحساس أنَّه مراقب من قِبل شخص ما أو شيء ما في مكان أعلى منه بقليل، من خلال نوع من كاميرا المُراقبة في السماء. إنَّه الشعور ذاته الذي راوده في غرفة قياس الملابس وهو يُجرّب الملابس. جال ببصره فوق وحول جنبات الكنيسة، و لم يجد شيئاً.

في المقعد الأول من الصفّ الجانبي، وقع بصر «رايان» على ظهر رجل ضخم أشيب الشعر كان يتصفح النشرة. نظر «رايان» مُجدداً إلى صورة والده. هل من المُمكن أن يكون هو؟ اقترب مُحاولاً الحصول على رؤية أفضل.

ما الذي سوف يفعله إن كان هو والده بعد مرور كلّ هذا الوقت؟ ما الذي سيقوله؟ هل سيثور غضبه ويُهينه لقاء الألم والمُعاناة اللذين تسبب بهما؟ أم سينهار باكياً، عاجزاً عن الكلام، أم سيُخفي ألمه واشتياقه؟

لن يجد اليوم اجابات على هذه الأسئلة.

أدار الرجل رأسه، فتمكّن «رايان» من رؤية تقاطيع وجهه المتراصة، وعينيه السوداوين الصغيرتين. ليس هو، مرة أخرى.

واصل «رايان» التمعّن في وجوه الحاضرين بينما شرع الناس في المغادرة.

وقعت عيناه على سيدة على الجانب الآخر من الممر. بدت في الستين من العمر، ذات شعر قصير خفيف،

ومظهر أنيق، وعينين دافئتين لمعتا عندما تعرّفت على وجهه. ابتسمَت ابتسامة باهتة.

كانت «دوروثي ستوتن» أخت والده الصغرى.

اعتمرَت المشاعر في صدره إلى درجة انَّه لم يعُد قادراً على التكلّم مع أحد، استدار «رايان» بسرعة وتوجّه خارج أبواب الكنيسة عائداً في اتجاه سيارته.

لحقته «دوروثي» إلى موقف السيارات.

«رايان»: أهذا أنت؟ إنتظر!

توقّف عن المشي، وأدار وجهه نحوها.

قالت: «بالكاد عرفتُك».

على الرغم من كلّ الحزن الذي يُعانيه، شعر «رايان» بالانزعاج. ما الذي عنته بذلك؟ كان بالتأكيد في مظهر أفضل بكثير من مُعظم الرجال هنا، بكروشهم المنتفخة المتدلية فوق أحزمتهم البيضاء، وعلب السجائر الظاهرة في جيوبهم.

كان «رايان» يُمارس الرياضة عشرون عاماً في صالة الألعاب الرياضية في الكلية، كما لو كان يُعدّ نفسه لمواجهة محنة ما تتطلب منه الاستعداد. ظنَّ يوماً أنَّ ذلك سيُؤمّن له المناعة والصحة الأمثل، ولكنه لم يُخبر «صوفي» بالحقيقة أيضاً، وهي أنَّه على الرغم من كلّ التمارين التي يقوم بها،

فقد أظهرت فحوصاته الأخيرة مُعدلات كوليسترول عالية جداً، وارتفاعاً في نسبة الشحوم الثلاثية.

سأل طبيبه: «كيف يُمكن أن يحصل هذا؟».

قال الطبيب: «السبب وراثي»، وهو بالضبط ما لم يكُن «رايان» يرغب في سماعه.

لم يكن لدى الطبيب أدنى فكرة، عن مدى سميَّة هذه الكلمات بالنسبة إلى «رايان». رُبّما أراد أن يجد والده، ولكنَّ ذلك لا يعني أنَّه كان يرغب في امتلاك أيّ سمة من سماته.

في الحقيقة، إنّ كلّ ما انجزه في حياته حتى الآن، وكلّ عمل مُضنٍ قام به في المدرسة الثانوية، وكلّ صفّ حضره من أجل الشّهادات العليا، وكلّ دولار ادخره من رصيده البالغ 401 ألفاً، كان كلّه تحدياً لوالده، كي يُثبت أنَّه ليس كسولاً ولا غير مسؤول، بل مُتنور ومُثقف. كان «رايان» يتباهى بمكانته الأكاديمية، وإخلاصه لزوجته «صوفي»، ومهاراته في إدارة المال، وأبوته التي كانت صارمة، ولكنَّها لم تكن أبداً من النوع الذي يعتبره تعسفياً. بالطبع كانت لديه بعض الصفات الموروثة، والتي لم تكن مثار إعجاب، وكانت «صوفي» تُذكّره بها بكلّ سرور: كان نافذ الصبر، سريع الغضب، وميالاً إلى الرفض.

بيد أنه هل هناك انسان مثالي؟ كان «رايان» يبذل أقصى

ما في وسعه بالأوراق التي بين يديه. أليس كذلك؟ قاطعَت كلمات «دوروثي» أفكاره:

«لم يكن لدينا أدنى فكرة أنَّك ستكون هنا، عزيزي». أردفت قائلة: «سوف يحضر الجميع إلى المنزل بعد الجنازة. لماذا لا تمرّبنا؟».

«آسف، عمة «دوروثي»، أشكركِ، لكنني حقاً لا أستطيع. لقد أتيتُ فقط كي أقدّم التعزية».

لم يكن هناك سبب لعدم قدرته على الذهاب معهم إلى المنزل، بل في الحقيقة، كان ذلك بالضبط ما ينبغي عليه فعله، نظراً إلى أنّه قاد السيارة ست ساعات حتى وصل إلى هذه البلدة المنسية. بيد أنَّ تعليقها حول عدم التعرّف عليه جعله ينكمش تماماً.

قالت «دوروثي»: «حسناً، كانت جدتك ستسرُّ لو علمَت أنَّك قطعتَ كلّ هذه المسافة كي تحضر إلى هنا، هذا هو الشيء المُهمّ».

خلف «دوروثي» فُتحَت أبواب الكنيسة. إجتاحت «رايان» موجة من القلق، ولكنَّها تبددت عندما رأى أنَّ مَن خرج من الباب لم يكن سوى فتاة مراهقة. إبتلع «رايان» ريقه ونظر إلى «دوروثي». كان عليه أن يسأل: «أبي ليس هنا، أليس كذلك؟ لم أره في أي مكان».

نظرت إليه «دوروثي» نظرة عطف. من المفترض أنها

كانت تمتلك أحزانها الخاصة بشأن أخيها.

«كلا، ليس هنا. هل هذا ما دفعك إلى المجيء؟».

«حسناً، اعتقدتُ أنَّه قد يُراعي الأصول ويظهر في جنازة أمه. كان يجدر بي أن أعرف».

أصدرَت «دوروثي»، ضحكة مكتومة حزينة: «تعلم، رُبّما يكون خائفاً؟».

«خائفاً من ماذا؟ ما الذي لديه بحق الجحيم كي يخاف منه؟».

«يخشى رؤيتك، هذا احتمال».

قال «رايان»: «وهل كان سيعرفني حتى».

تابعَت «دوروثي»: «أو أخويك، أو حتى ما هو أسوأ، أُمّك».

«يجدر به أن يخاف، فقد كانت ستُودعه في السجن بأسرع ما يُمكن».

«بالمناسبة، كيف حالها؟».

وقف «رايان» هناك، والكلمات المُتضاربة تتصارع في رأسه. لم يكن يرغب في قول الحقيقة، وهي أنَّ والدته التي تزوّجَت ثانية، كانت في حالة سيئة كما كانت دائماً.

كذّب وقال: «بخير»، ثمّ تابع: «أفضل ممّا كانت عليه

عندما كانت تُكافح من أجل الاعتناء بنا دون مال».

سألت «دوروثي»: «ما الذي كنتَ ستفعله لو كان والدك هنا؟».

«لستُ مُتأكداً بالضبط. كنتُ تكلّمتُ معه على ما أعتقد».

نظرَت إليه كما لو كانَت لا تُصدّق كلمة ممّا قال: «حقاً؟ عن ماذا؟». كان فضولها يُثير أعصابه.

«عن الكثير ، صدقيني». أمعن النظر في وجهها لحظة، ثمّ سألها: «هل تعرفين أين هو الآن؟».

هزَّت رأسها إلا أنَّها تحاشَت النظر في عينيه.

وقفا معاً صامتين بينما مرّ سيل من القادمين الجدد، مُعظمهم من النساء المُسنات يحملن قدوراً مُغلفة بورق القصدير. اعتقد «رايان» أنّه لا بُدّ من وجود ثلاث أو أربع جنازات في وقت واحد. اختلطت رائحة أطباق المعكرونة، الجبنة، اللحم، وتدفّقَت في الأنحاء. عادت به الرائحة إلى الماضي إلى الأطعمة التي توفّرَت له في فترة وجيزة من الطفولة قبل إيداعه في دار التبني، قبل أن تتفكك عائلته الحقيقية.

قالَت «دوروثي»: «سُررتُ بمجيئك «رايان»، حتى وإن لم تستطع البقاء. أنت تعلم أنه ليس لأحد من أفراد

العائلة أيّ اتصال مع والدك منذ سنوات. رُبّما كان هذا أفضل بالنسبة إلى الجميع».

«هذا يعني أنَّك تعلمين مكانه، ولكنَّك لن تخبريني؟ حسناً لقد فهمت». التفَت وفتح باب سيارته بقوة.

تنهّدَت «دوروثي» كما لو كانت تتخذ قراراً شخصياً: «إنتظر لحظة. تمهّل. في آخر اتصال لي بوالدك كان في كاليفورنيا.

التفت «رايان» إليها: «كاليفورنيا؟ أين؟».

«كان قد خرج لتوّه من السجن، ويُقيم مع سيدة في بلدة صغيرة، اسمها «غورن» أو شيء من هذا، «غورن فيل» رُبّما؟ بيد أنَّ ذلك كان منذ عدة سنوات. رُبّما سبع أو ثمان سنوات. مَن يدري أين هو الآن».

«لماذا كان في السجن؟».

أشاحت دوروثي بناظريها: «الاعتداء والضرب على ما أعتقد. لطالما كان لديه ميل إلى تنفيس غضبه على النساء. على الأقل هذا ما سمعتُه».

مشى «رايان» حولها، مُحاولاً أن يُهدأ من روعه.

لم تكن معلومات دوروثي مُفاجئة حقيقة بالنسبة إليه، ومع هذا فقد جعلَت حلقه يمتلأ بالصفراء.

الحقيقة هي أنّه على الرغم من مرور كلّ هذه السنين،

كان «رايان» عاجزاً عن تصديق كيف أمكن لوالده أن يعيش دون أن يتواصل معه بصورة أو أُخرى. كانت أحد تسليات «رايان» بين الفينة والأُخرى هي مُحاولة معرفة إن كان في حياة «روبرت» المُبكّرة ما يُفسّر أو يُنبئ بفشله وتخلّيه، هل تعرض يا تُرى إلى الإيذاء البدني، أو التجاهل؟ ولكنّ أحداً لم يكن قادراً على إخباره. حتى «دوروثي» لم تكن تعلم على ما يبدو.

هذا ما قالته عندما سألها: «حسناً، كان أبونا يشرب الخمر، وأمنا بعيدة إلى حدّ ما، لكنّهما اعتنيا بنا، صحيحٌ أنّهما لم يكونا مُهتمّين إلى حدّ كبير، لكنّهما كانا مُتواجدين دائماً. عدا عن ذلك، ليس هناك ما هو استثنائيّ».

سأل «رايان»: «لقد أصبح باقي الأولاد كلّهم على ما يُرام، أليس كذلك؟».

«لم يدخل أيّ منهم السجن، أو طلّق زوجته حتى، سوى والدك. أنا لا أزعم أنّنا كنا العائلة الأكثر سعادةً على وجه الأرض، لكنّنا عاديون جداً».

إن لم تستطع أخت والده أن تُعطيه أيّ تفسير، مَن تراه يفعل؟

قال «رايان»: «إسمعي، أنا آسف إن كنتُ فظاً معك، لكن فقط ما أتمناه».

رفعت «دوروثي» يدها: «أعلم، على الرغم من كلّ

الأمور الرهيبة التي قام بها، فهو لا يزال أخي، أتذكر؟ لدي مشاعري المجروحة أنا الأخرى». لمسَت ذراعه، وتابعَت: «اعتنِ بنفسك، عزيزي».

«سأفعل».

ركب «رايان» سيارته ثمّ فتح النافذة وقال: «سرتني رؤيتك، عمة «دوروثي». أتمنّى أن نراك المرة القادمة في ظروف أفضل».

أدار مُحرّك السيارة وانطلق مُسرعاً.

الفصل الثاني

بقيت عبارة «الأمور الرهيبة التي ارتكبها» تتردد في ذهنه وهو ينطلق بسيارته على الطريق السريع. لم يكن يعلم ما الذي قصدته «دوروثي» بذلك، ولكن بالنسبة إلى «رايان» لم يرتكب والده سوى خطيئة واحدة لا تُغتفر، ألا وهي التخلّي عن زوجته وعائلته. كان تلك هي الخطيئة الأساسية التي ترجع لها كلّ المآسي الأُخرى: صحة والدته المُعتلة، وتخليها عن حقّها في «رايان» وأخوته إلى دار الرعاية، عندما لم تعُد قادرة على الاعتناء بهم بمُفردها.

لقد تمّ توزيعه هو وأخوته على منازل متفرقة، أخواه في بيت وهو في آخر. من سوء حظّ «رايان» أنَّ انتهى به المطاف في منزل آل «لوزي» البغيضين، الميكانيكي العاطل عن العمل وزوجته.

كانا يعيشان في منزل ذي مستويين بغرفتي نوم في شارع مسدود قرب سكة الحديد. تشارك «رايان» غرفته مع أربعة أولاد لا عائل لهم، ينامون على فرش صغيرة قذرة. كي تزداد الأمور سوءاً كان البيت بارداً جداً في الشتاء، ولاهبَ الحرارة في الصيف، وكان السقف يرشح، وكان هناك دائماً رائحة نتنة، من الأقدام المُتسخة، والعفن الفطري، ومياه البلاليع، والفئران.

تطلّب الأمر من «رايان» سنوات كي يُدرك أنَّ آل «لوزي» كانوا مُحتالين، مهنتهم الأساسية هي جمع أطفال الرعاية من أجل الراتب الذي يتلقونه من الخدمات الاجتماعية كلّ شهر.

بيد أنك لا تستطيع أن تعرف ذلك أبداً من الدور الذي كانت تُمثله السيدة «بيغ لوزي» كلّما خرجوا أمام الملأ: فقد كانت تُمسك أيديهم بإحكام، وتُربت عليهم، وتُناديهم «حبيبي». كان السبب الحقيقي وراء هذا هو عدم تمكّنها مُطلقاً من تذكّر أسمائهم.

بيد أنه في الخفاء، كانت القصة مُختلفة. كانت زجاجات الجعة البنية تملأ الثلاجة، وكان هناك حزام بالٍ من كثرة الاستعمال، مُعلّق على مسمار في المطبخ، مُخصص للأولاد في حال «أساؤوا التصرف». كان آل «لوزي» يُحبّون الشرب ولعب الورق، تاركين الأولاد يصطفون أمام التلفاز الأبيض والأسود ذي الشاشة المضطربة، ومعهم

زجاجات الكولا وأكياس رقائق البطاطا.

تعلّق «رايان» أثناء نشأته بأحد أخوته في الرعاية، وهو «كيني» صبيٌ قصيرٌ لديه عيب في النطق، والذي كان يُحبّ صنع نماذج الطائرات. إعتاد هو و«رايان» أن يتحادثا أثناء الليل عمّا سيفعلانه عندما يكبران. كان «كيني» يرغب في أن يكون سائق سيارات سباق. بيد أنَّ «كيني» لم يمكث عند آل «لوزي» سوى عدة أشهر قبل أن يختفي على نحو غامض، ولم يسمع عنه منذ ذلك الحين ثانية. كتب له «رايان» الرسالة الأولى في حياته، ولكنَّ الرسالة مكثَت على طاولة الهاتف أشهراً وكساها الغبار. كانت السيدة «لوزي» قد وعدَت أن تُرسلها في البريد، ولكنَّها لم تفعل أبداً، وفي النهاية قام أحدٌ ما برميها. بعد ذلك، لم يتقرّب «رايان» من أيّ ممّن يُدعَون أخوته ثانية. إنَّه لا يتذكّر إلا القليل عن القائمة المُتجددة من الأولاد الآخرين فيما عدا كونهم مخلوقات تعيسة، صُبغت أفواههم باللون البرتقالي جراء أكل كيس تلو آخر من السندويش بنكهة الجبن بدل الفطور والغداء.

إنَّ السنوات البائسة التي قضاها لدى آل «لوزي» قطعت شوطاً بعيداً في تشكيل شخصية «رايان»، كونها تسببت في جرح عميق لم يندمل أبداً.

لم يكن يطيق الحديث عن الإهانات التي تعرّض لها في

حياته كطفل ربيب، ولا حتى مع مُعالجه النفسي، كيف سيبدأ؟ بيد أنّ هذا الحرمان خلق لديه طموحاً ورغبة جامحة في النجاح. لقد آل على نفسه ألا يكون أبداً مديناً بالفضل لأيّ أحد، وأن يحوز كلّ الشهادات التعليمية التي تضمن بقاءه مُكتفياً ذاتياً وناجحاً.

حاول أن يرمي الصدمات المُتنوّعة في حياته كطفل ربيب في مقصورة، ويُوصد عليها الباب، ويسدّه بصخرة، ومع هذا ما انفكّت تظهر له في بعض الأحيان، وفي اللحظات غير المُناسبة على الإطلاق، كانت الذكريات مُؤلمة إلى درجة جعلته يشعر أنّها حدثَت لا محالة في الحُلم، أو مع شخص آخر.

إجتاحته هذه الذكريات الآن على الطريق السريع وهو يتجه غرباً، رُبّما كانت هذه الرحلة أطول من أن يقطعها بمُفرده. كانت تُصاحبه في السيارة الكثير من الأشباح.

عاود التفكير بالليالي الباردة عندما لم يكن لديه ما يكفيه من البطانيات، وحصص الطعام الضئيلة التي جعلته يتصارع مع ألم الجوع، والذي كان قوياً إلى درجة جعلته يفتح الثلاجة كلّما كان وحيداً في المنزل، ويحشو فمه بأي شيء يجده: مايونيز، زبدة نباتية، نشاء الذرة، فقط كي يشعر بالامتلاء. تذكّر الضرب الذي كان يتلقّاه من السيدة «لوزي» في أيّ وقت، ولأسباب لم تكن واضحة أبداً. ما

الخطأ الذي ارتكبه؟ هل أجاب بقلة احترام، تكلّم بصوت عال، لم يتكلّم البتة!؟ بيد أنّ الأكثر إيلاماً كان العزلة التامة، فلا أحد ولا مكان ينتمي إليه حقاً، ولا مَن يُحبّه وينظر إليه نظرة حُبّ أو اعتزاز.

لم يُفكّر يوماً في الانتقام من آل «لوزي» البغيضين. ولكنَّه ببساطة سُرَّ لعدم رؤيتهم ثانيةً بعد أن أطلَّت والدته، أو بالأحرى نسخة مُنهكة منها على باب المنزل عندما كان في السابعة، واصطحبته بعد خمس سنوات كما لو لم تكن سوى خمسة أيام.

«أعتقد أنَّ لديكم شيئاً يخصّني»، قالت ذلك للسيدة «لوزي» التي ضحكت بصوت عالٍ على العبارة المألوفة،

بيد أنّ «رايان» مع حلول ذلك الوقت، كان قد تعلّم كيف يتدبّر أموره بمُفرده، أو هذا ما كان يُحبّ أن يقوله لنفسه. لقد غاص عميقاً في الأعماق الداخلية لسعة الحيلة والطموح. عاش بين الكتب وأقام لنفسه بيتاً صغيراً في المكتبة العامة، حيث أبحر عبر كلّ مُجلدات موسوعة «كتاب العالم[1]» و«الموسوعة البريطانية[2]» باحثاً في الرسوم الإيضاحية عندما تكون الكلمة شديدة التعقيد بالنسبة إليه.

---

(1) World Book.

(2) Encyclopaedia Britannica.

عاد إلى الشقة الجديدة مع أُمّه فوجد أخواه وقد استقرا هناك بالفعل، يُشاهدان تلفازاً صغيراً بالألوان كما لو أنَّ شيئاً لم يحدث.

كان زوج أمه «إيرل» وابنه «سكوت» يسكنان أيضاً في الشقة ذاتها، في الطابق الثالث في مكان بلا مصعد مُصمم لشخصين فقط لا غير.

في مساء لا يُنسى، جلس «رايان» في غرفة الجلوس حيث كان ينام وأُخوته، «ديف» و«جيم»، يُشاهد أفلام الكرتون بينما مرّ «إيرل» و«سكوت» من أمامه في اتجاه المطبخ، حيث كانت والدته تغسل الصحون.

سمع «ايرل» يُخبر أُمه إنَّهما ذاهبان إلى صيد الأسماك.

سألت الأمّ: «لماذا لا تصطحب معك الأولاد الآخرين، أيضاً؟».

شرب والده بالتبني رشفة ماء وتنهّد قائلاً:

«لقد أخبرتُك هؤلاء ليسوا أولادي، ولن أقوم بتربيتهم».

أجابت والدته: «أنت لم تقُل هذا مُطلقاً».

ضحك «إيرل» ساخراً. كان رجلاً قصيراً، أسمراً، نحيلاً، ولم يستطع «رايان» أبداً أن يُصدّق أنّ أمّه تزوّجَت هذا الرجل.

أجاب «إيرل»: «بالتأكيد قلتُ ذلك، لكنَّك لم تكوني تُنصتين كالمُعتاد».

راقب «رايان» من النافذة «إيرل» وابنه وهما يُغادران المنزل ويعبران الشارع، و«سكوت» يُمسك بيد والده.

مشى «رايان» إلى المطبخ ووقف وراء أمه، والتي كانت لا تزال تقف عند الحوض.

«أين أبونا؟».

«ليس لديكم أب».

قال «رايان»، والذي كان لا يزال تلميذاً: «هذا مُستحيل بيولوجياً».

دخل «ديف» ووقف وراءهما. كان نسخة طبق الأصل من «رايان»، ولكن كان لديه نمش: «أجل، الجميع لديهم آباء».

«حقاً، أما أنتم فلا».

سأل «رايان»: «هل هو ميت؟».

استمرّت في غسل الصحون: «قد يكون كذلك».

«ماما»..

قالت غاضبة: «لا تسألوني مرة أُخرى! لقد أخرجتكم من دار الرعاية. أليس هذا كافياً؟». ألقَت منشفتها، وذهبَت إلى غرفة نومها، وأغلقَت الباب.

فكّر «رايان» قائلاً: «كلا، ليس كافياً».

عاود النظر إلى النافذة بينما كان «سكوت» و«إيرل» لا يزالان يسيران في الطريق. كانت الحقيقة المُرَّة هي أنَّه كان سيُرحّب بتعاطف «إيرل»، لقد كان يائساً إلى هذه الدرجة. رُبّما غسلَت أُمّهم ثيابهم، وخاطت أزرار قمصانهم، لكنَّه كان تواقاً إلى الصداقة الحميمية، وإلى اعتراف واهتمام ذكوري لم يحظَ به قطّ في حياته وكان يشتهيه كما يشتهي غذاء ما..

كي يتسنى لهم الخروج من المنزل حصل «جيم» و«ديف» على عمل في توصيل الصحف، وكذلك فعل «رايان» عندما أصبح كبيراً بما يكفي. تجنب الثلاثة العودة إلى البيت، بما أنَّه كان مُزدحماً جداً وكان محكوماً من قِبل «إيرل»، الذي كانت له تقلبات مزاجه الخاصة، ونوبات غضبه التي غذّاها تعاطيه الكحول.

كانوا يخشون أن تنهار أُمّهم مُجدداً، وأن يُعاد إرسالهم إلى دار الرعاية. عندما أصبحوا في أواخر مُراهقتهم، وجد كلّ منهم سبباً كي يُغادر البيت وإلى الأبد.

الفصل الثالث

ترك استرجاع ذكريات الطفولة المُؤلمة هذه «رايان» عرضة لتأنيب الضمير. راح يُفكّر في «لوغان» وكلّ ما كان يقوم به في اليومين الماضيين. ضغط على دواسة وقود سيارته كم طراز «هوندا» ونظر إلى ساعته.

لو قاد السيارة على نحو مُتواصل دون توقّف، فسيصل بالتأكيد في الوقت المُناسب إلى عيد ميلاد ابنه. هذا إذا استطاع أن يبقى يقظاً كلّ ذلك الوقت.

عندما أصبحت الساعة الخامسة والربع صباحاً، كانت شمس الصباح قد بدأت بالشروق. كان الأوان قد فات الآن على التوقّف في فندق، لقد كان مُنفعلاً جداً بسبب الأدرينالين، وكان واضحاً أنّه لن ينام أبداً. هدأ بفعل

الطريق السريع اللامُنتهي، والقهوة التي شربها في محطة الشاحنات على طول الطريق، والكراهية المحضة التي انبعثَت من محطة الراديو على الموجة «آي. إم»، حيث ظهر صوت مُذكّر أبيض واحداً تلو الآخر يستعمل مُصطلحات من قبيل «حشرات»، «خيانة»، «مؤامرة»، كلمات لم يكن يعلم أنَّها ما زالت شائعة الاستعمال.

هكذا قاد سيارته مُتوقفاً في مناطق تقديم الخدمات من أجل تناول رقائق الجبنة بزبدة الفول السوداني، اللبن المُحلّى المُغطّى بالبسكويت، ومُثلجات «إسكيمو باي» علّها تُذكّره بطفولة لم يحظَ بها قطّ. لكنَّه لم يشعر سوى بالانتفاخ وبالمرض.

أثناء قيادة السيارة، فكّر بأُمّه التي تعيش اليوم خارج «داي تاون» في «أوهايو»، وأنَّ آخر مرة رآها كانت منذ عدة سنوات، عندما أقنعها أخيراً بإخباره بحقيقة والده.

كان قد زارها في بيتها الذي تشاركته مع «إيرل» الذي كان نادراً ما يتواجد في البيت بحكم عمله كسائق شاحنات للسفريات البعيدة. كانت صحتها تتدهور، وكانت رئتاها ضعيفتين وكذلك قلبها. أُصيبت بالعجز، وكانت تُمضي مُعظم وقتها مُستلقية على جنبها في غرفة الجلوس تُشاهد التلفاز.

«طوال حياتك وأنت تسأل عن والدك «رايان».

«أعلم، لكن لديَّ طفل الآن وأنا أحتاج أن أعرف».

«بروفسور عظيم مثلك، كاتب مُهمّ جداً. لماذا يُهمّك الأمر؟».

«أنا مُهتمّ وحسب، أمّي، أرجوكِ».

سعلَت، فهي لم تُقلع أبداً عن التدخين، وقد منحتها سنوات من مُمارسة تلك العادة سعالاً مزمناً وهيئة شاحبة. كان شعرها الباهت قد شاب ورُبط إلى الخلف في كعكة رقيقة.

كانت تبدو مثل شبح عن صورتها السابقة.

«حسناً سوف يخيب أملك. لأنَّ القصة بأكملها لا تتعدّى ما تعرفه أنت بالفعل: لقد هجرنا والدك هكذا وبكلّ بساطة. كنتُ قد وضعتك للتو ولا أزال في المشفى، والولدان في البيت مع جليسة الأطفال. عندما حان وقت العودة إلى البيت، جلستُ على كرسي مُتحرك أمام المشفى وأنت بين ذراعيّ، انتظرته كي يُقلّنا، لكنَّه لم يأتِ أبداً، ولم يتّصل أبداً. لا شيء على الإطلاق. بقيتُ هناك مدة ساعتين حتى جاءت مُمرضة، وأصرّت على أن نعود إلى الداخل. لم أصدّق أنّه لن يأتِ. ولا زلتُ عاجزة عن تصديق ذلك بصراحة. لم يُرسل لنا أيّ نقود. هذا كلّ شيء. انتهى الأمر».

« لم تُقاومي أو تفعلي أيّ شيء».

«كلا».

«لا بُدّ أن يكون هناك سبب جعله يُغادر».

سألَت أمه: «مثل ماذا؟».

«لا أدري. كيف عدتِ إلى البيت من المشفى؟».

«سيارة أجرة».

هكذا كانت لحظاته الأولى هي لحظات رفض وخيبة أمل. لا عجب أنَّه كان ممتلئاً بالغضب إلى هذه الدرجة.

نظر «رايان» إلى يديه.

حدّقت أُمّه فيه: «أرأيتَ لماذا لم أكُن أُريد أن أُخبرك؟».

هذا بالأساس ما أخبرته به «صوفي»، أنَّ عليه أن يترك التفاصيل وشأنها، بيد أنّ القول أسهل من الفعل.

***

أجبر نفسه على التوقّف في إحدى الاستراحات كي يرتاح بضع لحظات على جانب الطريق. بينما كان يجلس في السيارة أمام آلات البيع، مرَّت جانبه امرأة تُشبه زوجته إلى حدّ كبير، ممّا جعله يختنق بعبراته.

استقرَّت أفكاره عند «صوفي»، وكيف التقيا في حصة «شكسبير» في سنته الأولى من الكلية، وكيف أصبح

زواجهما مُتعثراً الآن. الأمر الذي جعله يرغب فجأة في العودة إلى البيت بأسرع ما يُمكن.

كانت من نوع الفتيات التي لم يكُن ليحلم أن تُوافق على الخروج معه، من عائلة ميسورة، فتاة أمضَت فصلاً دراسياً في قرية فرنسية خلال المرحلة الثانوية، وكانت تملك سيارة رياضية زرقاء اللون خاصة بها، وتضع أساور ذهبية حقيقة ذات سلاسل صغيرة لتأمينها من السقوط من يدها. كان والد «صوفي» طبيب غدد صمّاء من الأطباء الذين لم يسمع بهم «رايان» أبداً من قبل.

أما عائلة «رايان» كما كانت، فقد كانت تُمثّل إحراجاً كبيراً بالمُقارنة مع عائلتها، ولكنّ ذلك بالضبط ما جعل «صوفي» تقع في حُبّه، كان في حاجة إليها، وقد قالت إنها أرادت أن تمنحه كلّ ما حُرم منه في صغره. لم يستطع مُقاومة أيّ شيء بخصوصها، من طبق الدجاج بالنبيذ الأحمر الذي كانت تُعدّه، إلى رائحة جلد الغزال التي كانت تفوح من سترتها. لم يستغرق الأمر طويلاً، حتى شعر أنَّه قد وجد أخيراً الشيء الذي يستحقّه.

بيد أنه عندما اتصل بها الآن، وهو على بُعد ساعة من البيت، انجرفَت مشاعره الدافئة بعيداً. انزعجَت «صوفي» منه، و لم يكن مُتأكّداً من السبب.

إنَّها ليست حتى السادسة صباحاً، «رايان».

قال ببرود: «اعتقدتُ أنَّكِ مُستيقظة». لماذا أصبح دفاعياً إلى هذا الحدّ؟

حسناً، أنا في الحقيقة أتحضّر من أجل الحفلة، لكنَّني قلقتُ من أن يُوقظ الهاتف «لوغان».

«آه بالطبع، الحفلة. كيف نسيتُ ذلك خمس وعشرين ثانية».

«لا أعتقد أنَّني أطلب الكثير عندما أطلب منك التواجد في البيت من أجل عيد ميلاد ابنك».

«أنا آتٍ. أنا أقود السيارة منذ ساعات كي أصل إلى البيت. ما المُشكلة؟».

«لا أفهم موقفك. أنت تتصرّف كما لو كانت تضحية كبيرة، كما لو كنتُ أطلب منك أن تتخلّى عن شيء ما. إنَّه ابنك أنت أيضاً».

«صوفي» أرجوكِ. أنا مُنهك. لا أعلم حتى لماذا أنت مُنزعجة».

«إنّ «لوغان» يشعر بذلك، صدقني. إنه يستطيع التقاط مشاعرك، حتى عندما لا تفعل أنت».

قال «رايان»: «دعي «لوغان» خارج هذا الموضوع»، ثمّ أضاف قائلاً: «الإشارة ضعيفة» وأقفل الخط.

في آخر المطاف، ركن السيارة أمام منزله حوالي

السابعة صباحاً، أبكر حتى ممّا خطط. مكتبة

تردد قبل أن يركن السيارة ويذهب إلى الداخل. شعر برغبة في إراحة كعبي قدميه ساعة أُخرى، ومنح نفسه الحرية التي شعر أنَّه يستحقّها.

طوال سنوات عمر «لوغان»، كان لدى «رايان» النية في أن يكون والداً صالحاً، ولكنَّه بقي مُحتاراً بخصوص ما يعنيه ذلك. بالإضافة إلى أنَّ «صوفي» كانت تسحب كلّ أوكسجين العائلة من خلال مهارات الأمومة الواسعة، البارعة التي لديها. في الوقت الذي كان «رايان» يتلعثم فيه ويتردد، بدا أنَّ التصرف المُناسب كان دائماً طوع أمرها. كانت تنتبه بسرعة إلى «لوغان الباكي»، تقبّله، تُهدئه، وتحلّ أيّ مُشكلة تُواجهه بينما كان «رايان» لا يزال يوازن خياراته.

منذ اللحظة التي وُلد فيها ابنه، نظر إليه «رايان» بجزع حنون. حتى في المشفى كان قلقاً أن تُوقعه الممرضة أرضاً، أو يستبدله أحدهم بطفل آخر، أو يتطوّر لديه نوع مُستعصٍ من العدوى أو الحساسية التي قد تُعيق تطوّره، هذا إن لم تقتله في الحال. بيد أنَّه شعر أنَّه غير مُؤهل من أجل عمل شيء أكثر من القلق دون جدوى، والدفع بزوجته «صوفي» مع الطاقم الطبي إلى الجنون بسبب مخاوفه.

كلّما كبر «لوغان»، أصبح «رايان» مُتفرّجاً أكثر قلقاً من

ذي قبل. كان يعلم أنَّ هناك الكثير من الأمور التي يستطيع القيام بها مع «لوغان»، حتى عندما كان طفلاً في بداية مرحلة المشي، كأن يشغل له ألبوم موسيقى «موزارت» للأطفال، أو يُعرّفه على نشاطات تزيد التنسيق بين العين واليد، أو يُساعده على الزحف، ثمّ المشي.

بيد أنّ «لوغان» أصبح أكبر الآن، وقد أرادَت منه «صوفي» أن يُعلّمه البيسبول، كرة القدم، التنس، وكلّها رياضات لا يعلم «رايان» نفسه عنها شيئاً.

بدلاً من ذلك، ألا يُمكنه مثلاً أن يُناقش معه الصدق، الرجولة، الجنس؟ بيد أنَّ «رايان» كان أكثر مهارة في مُراقبة العالم الخارجي كمكان مُرعب، مليء بالطرقات السريعة الغادرة، السموم القاتلة، ورجال بنظرات مُثيرة للريبة يتسكّعون في مراكز التسوّق، جاهزون لاختطاف الأطفال، أو الاعتداء جنسياً عليهم.

قال لزوجته «صوفي» ذات يوم خلال أحد زياراتهم العائلية النادرة إلى مركز التسوّق الشهر الماضي: «أنظري إلى ذلك الشاب الذي يرتدي قميصاً أزرق، إنَّه هناك منذ خمس دقائق ينظر إلى «لوغان»، أعتقد أنَّه ينبغي علي التبليغ عنه».

«تُبلّغ عمّن؟ شرطة الأفكار؟ إنَّه يقف هناك تماماً كما تقف أنت. ما خطبك؟».

لقد بدا «لوغان» الآن في التاسعة من عمره أبعد من أيّ وقت مضى مُنبهراً بلعبة «نايتتاندو دي إس» والعالم الالكتروني في هاتفه الخلوي، والذي كان «رايان» مُعارضاً لشرائه في المقام الأول، ولكنَّ «صوفي» أرادته أن يشتريه من أجل أسباب اجتماعية.

بالكاد استطاع «لوغان» رفع رأسه عن ألعاب الفيديو المُغرية التي قد تجعله مع أبناء جيله أُميّين. كيف يستطيع «رايان» أن يجذب انتباه ابنه كي يُعلّمه أيّ شيء؟ لقد بدا ذلك مُستحيلاً. هكذا تخلّى في مُعظم الأيام عن ذلك، جلس ببساطة إلى جانبه أثناء الفطور، أو احتسى القهوة، بينما «لوغان» يلعب في لعبة «نايتتيندو دي إس» التي في حضنه. أليس مُجرّد الجلوس قرب ابنك أبوّة أيضاً؟ مُجرّد التواجد هناك ببساطة؟

مع ذلك، كانت هناك أوقات تساءل فيها «رايان» فيما لو كان من الأفضل لو بقي عازباً يُؤلّف كتباً غير شعبية، ويتناول الأطباق الخاصة في المطاعم المحلية، ويُقيم علاقات مع التلميذات المُعجبات به، والتي قد يُنهيها قبل أن يتمكّنوا من التعرّف عليه حقّ المعرفة.

لن يستطيع أحد النفوذ إلى أعماقه ومعرفة مقدار خيبة أمله.

من دون زواج ولا أبوة، لن يكون لديه التزامات، ولا

رهن عقاري، ولا ثقل رهيب في صدره. إنه لا يستطيع الآن التخلّي عن عمله على الإطلاق إذا ما أصابه الملل، أو استئجار كوخ ومُمارسة الكتابة مُدة شهر دون الشعور بوزر الالتزامات ينقض ظهره.

بالطبع، لم يُوقف ذلك والده، ولكنَّه ليس والده، ولا يُشبهه في أيّ شيء، هذا ما انفكّ يقوله لنفسه.

أوقف قطار الأفكار هذا وهو يُراقب ابنه يفتح الباب الأمامي ويركض إلى الخارج مُرتدياً بيجامته. كان «لوغان» يمتلك شعراً مُتموجاً بنياً أشقر، وفمّ مُعبّر ذي شفة مقلوبة.

في طفولته المُبكّرة كان يُشبه فرع عائلة «رايان»، ولقد أمضى «رايان» الكثير من الوقت في مُحاولة تحديد مَن كان يرى في وجه هذا المولود الجديد، وكان مُعظمهم من أقاربه من جهة أمه، بما أنَّه كان لا يعلم سوى القلة القليلة من أقارب أبيه. في جبين «لوغان» رأى خاله «كونواي» صاحب دكان مبردات السيارات، والسيجار المُشبع بالماء، أمّا صورته الجانبية فكانت تُشبه صورة أخيه «ديف الجانبية، أمّا ضحكته فقد كانت تُذكّره بضحكة خالته التي ماتَت منذ زمن بعيد وهي الخالة «لوسيل»، التي كانت عجوزاً عند ولادة «رايان»، مع كلبها من نوع «بودل» شديد الصغر، وحُبّها لشرب «البرندي». بيد أنه الآن عندما كبر «لوغان»، بدا أنَّه تغير وأصبح يُشبه «صوفي»

النحيلة الهيفاء، شعر «رايان» بالكثير من القلق، ماذا لو كان «لوغان» أنثوياً للغاية، رقيقاً للغاية؟

«بابا، لقد عدتَ!».

قال «رايان» غير قادر على منع نفسه من أن يبدو دفاعياً: «بالطبع لقد عدتُ، لقد أخبرتُ أُمّك أنّني سوف أكون هنا في الموعد. ألم تقُل لك؟». عند رؤيته لابنه، شعر «رايان» أنّه غارق في الذنب والحُبّ المتردد.

تعلّق «لوغان» بساق والده للحظة ولم يُجب. نظر «رايان» إليه وشعر بتضارب في المشاعر. لم يعرف قطّ حنان الأب، ولذلك لم يكن مُتأكداً أبداً فيما إذا كان يستجيب بالطريقة الطبيعية.

كان «رايان» في الأصل مَن رغب في إنجاب الأولاد، بينما كانت «صوفي» مُقتنعة أنّها تستطيع أولاً أن تكون فنانة، ترسم في البيت، وتبني شهرة من خلال المعارض المحلية.

بيد أنَ عالم الفن المُتقلّب جعلها تُغيّر رأيها في نهاية المطاف. كان شديد التنافسية والقسوة، فتحررت من وهم صناعة الفنّ، وغدَت أكثر افتتاناً بفكرة إنجاب الأولاد.

كانت تُحبّ أن تُردد: «أنا ماهرة في ذلك». في الواقع، كان حملها يسيراً، وفي الوقت الذي اشتكت فيه الأمهات الأخريات من مسائل مثل الرضاعة الطبيعية، لم يكن لديها

أيّ مشاكل البتة. في هذه المرحلة وبعد عشر سنوات من زواجهما، كانت هي مَن يتوق إلى المزيد من الأولاد، على الرغم من حقيقة أنَّ كلاهما كان في الأربعينيات من عمرهما، ولكنّ «رايان» أصبح هو المُتشكك «المُتخوّف».

كان يشعر أنَّ حياتهما فوضوية بما فيه الكفاية حتى مع ولد واحد. كانت «صوفي» تطلب منه باستمرار أن يقوم تجاه «لوغان» ببعض الأمور،عندما لا يكون لديه الوقت المُناسب أو الرغبة. هل كان يُفترض به أن يُوقف مشروع الكتابة الخاص به فقط كي يقرأ مع «لوغان» حكاية ما قبل النوم، أو يُسرّح له شعره، أو يستمع له وهو يتحدّث عن يومه المدرسي، خصوصاً في الوقت الذي كانت فيه «صوفي» مُستعدّة ومُتاحة من أجل فعل ذلك؟

لم يكن يتخيّل مقدار استهلاك الأبوة لوقت المرء، فقد تستغرق وقتك بأكمله إذا سمحت لها.

بيد أنَّه قاوم بشدة انجرافه الكامل وراء هذا الجانب المُنفرد من حياته.

من أجل هذا السبب كانت لديه مشاعر مُختلطة حيال إنجاب ولد آخر، ما لم يكن مضموناً أن يكون فتاة، والتي يُفترض أن تُحبّه بقوة والعكس بالعكس.

كان لديه شعور أنَّ البنات يتطلبنَ طاقة أبوية أقلّ، وأنَّهنَّ أكثر انطلاقاً وسعادة، وأنَّ الأمور تجري بطريقة خاطئة مع

الصبيان والرجال، ولا يُمكنك مُطلقاً أن تعرف أين ولماذا.

وضع يده على رأس «لوغان» الآن، كما لو كان يمنحه البركة.

«اليوم بلغتَ التاسعة. لا زلتُ غير مُصدّق».

قال «لوغان»: «هذا كان البارحة. اليوم موعد الحفلة».

«آه.» أزاح «رايان» يده وحمل حقيبته. رُبّما لهذا السبب بدَت «صوفي» مُنزعجة. لقد نسي موعد ميلاد ابنهما.

«هيا بنا، أين هي أُمّك؟».

«إنَّها تُعدّ الفطائر واللحم».

«عظيم».

داخل البيت المُنير مُتجدد الهواء الذي بُني في العشرينيات، وتمّ تجديده في الثمانينيات، وقفَت «صوفي» مُقابل الفرن، وقد بدا ظهرها مُعبّراً، كما فكر فيه «رايان». إنها في أوائل أربعينياتها، نحيلة وباهتة الشعر، وذات ملامح مع زوايا، ترتدي بلوزة قطنية. التفتَت وأعطته نظرة عاتبة، ثمّ مشَت نحوه وعانقته والملعقة في يدها.

كانت «ميتزي» كلبة العائلة وهي مزيج بين فصيلتي «لابرادور» و«ريتريفير» الذهبي، تتبعها باستمرار وهي تهزُّ بذيلها الطويل. كانت «ميتزي» فرداً أساسياً من

عائلتهم، وقد أتت من الملجأ، وتلقّت عاطفة أكثر من التي تلقاها «رايان». كان من المُثير للشفقة أن يشعر بالغيرة من كلبة، ولكنّه كان كذلك.

جلُّ ما كان على «ميتزي» أن تفعله هو أن تعود إلى البيت، أو تجلس، أوتنبح، حتى تجعل «لوغان» و«صوفي» يضحكان ويعانقانها ويهتفان لها، بينما عندما كان «رايان» يعود إلى البيت، قلّما يحظى بأيّ انتباه على الإطلاق.

«لا يُمكنك أكل هذا، إنَّه للكلبة»، هذا ما قالته «صوفي» عندما مدَّ يده لأخذ قطعة لحم خنزير.

«ما قصدك؟ يجب أن آكل أنا أيضاً».

«حسناً، تناول لحم الديك الرومي أمّا لحم الخنزير فهو خال من النترات، وهو يُناسب «ميتزي» لأنه لديها حساسية».

«آه، لا بأس إن أكلت أنا النترات؟».

«هيا «ريان»، ليس لديك حساسية. بالإضافة إلى أنَّها لن تأكل لحم الديك الرومي».

«طيب، لن آكله أنا أيضاً». غادر الغرفة وذهب إلى مكتبه، حيث شرع عابساً في إفراغ حقيبته.

في النهاية حصل على ما أراده، جاءت «صوفي» إلى باب المكتب ومعها قطعة لحم خنزير فوق قطعة خبز

«توست»، تماماً كما كان يُفضّلها. بيد أنَّها لم تُقدّم له مع الطبق أيّ كلمات رقيقة، ولذلك تصرّف بعدم مُبالاة، حتى رنّ الهاتف فغادرَت الغرفة مُجدداً، فبدأ يلتهم الطعام بنهم.

دخلت «ميتزي» وحدّقَت فيه، حرّكَت ذيلها تُريد قضمة. لقد تمّ انقاذها من «حكم الاعدام» كما يصفها «رايان»، فقد كانوا يذكرون دائماً أنّه لولا وصولهم في الوقت المناسب لتمّ التخلّص منها.

إنَّ إنقاذ حياتها في اللحظة الأخيرة جعلها بالتأكيد غالية بلا حدود.

«كيف يُمكن لأحد أن يتخلّى عنها؟»، سأل «لوغان» بحزن عندما رآها أول مرة، السؤال الذي أحرق قلب «رايان».

«لقد وصلتَ أبكر ممّا قلت» قالت «صوفي» عندما دخلت الغرفة من جديد بعد المكالمة الهاتفية.

تردد بالقول: «أجل، اعتقدتُ أنّك سوف تُسرين».

قالت «بالطبع سررت»، ولكنَّ ذلك لم يكن بادياً عليها.

وقف كلاهما صامتاً لحظة.

سألته «هل أنت راضٍ لأنّك ذهبتَ؟».

هزّ كتفيه قائلاً: «حسناً، لم أره».

«لكنَّك رأيتَ جدتك».

«أجل، في كفن».

قالت: «حسناً، آمل أن يكون الأمر مُستحقاً»، وقد أصبح أسلوبها فظاً فجأة، ثمّ تابعت: «ثلاثة أيام من تولي كلّ شيء بمُفردي لم يكن بالأمر السهل، هل تعلم؟».

إذاً هذا هو الأمر. كان «رايان» ينتظر ذلك.

مهما فعل، كان هناك دائماً مُشكلة ما.

الفصل الرابع

كانت الحفلة بعد سبع ساعات، بيد أنها بالنسبة إلى «رايان» بدت كأنَّها أسبوع. يا لها من تحضيرات! نفخ البالونات، وخبز الكعكة، وإعداد الألعاب. تكدَّسَت الهدايا في الغرفة الخلفية، السيوف والأقواس والخناجر، كما لو كان ابنه أميراً من الأمراء.

كان كلّ ما أراده «رايان» هو الهروب إلى المكتب والعمل، ولكنَّه كلّما جلس وبدأ في جمع أفكاره، قاطعته «صوفي».

هلَّا أوصلت غاز «البروبان»، هلَّا اشتريت المزيد من النقانق، هلَّا أصلحت آلة صنع المثلجات؟ لم يحظَ «رايان» ولا بحفلة عيد ميلاد واحدة طوال طفولته، بينما كان

«لوغان» وأصدقاءه مُدللين إلى حدّ جعل كلّ حفلة عيد ميلاد احتفالاً عظيماً مُصمماً من أجل التفوّق على سابقه.

قام بأداء كلِّ الأمور الاعتيادية التي طُلبت منه ولكن بأسلوب مُتبرم، الأمر الذي كان ظاهراً بالتأكيد بالنسبة إلى «صوفي»، والتي رُبّما شعرَت أنَّه ينبغي عليه التعويض عن الأيام التي تركها فيها وحدها مع «لوغان»، كما لو أنَّه كان مسروراً بحضور الجنازة.

بطبيعة الحال، كانت «صوفي» تُصرُّ على أنَّ المسألة لم تكن الجنازة وحسب، وأنَّ «رايان» قد غاب وقتاً طويلاً. في الواقع، كان يقضي جزءاً كبيراً من وقته كلّ عام على الطرقات من أجل حضور المؤتمرات والندوات. كان قد أخبر «صوفي» طوال الوقت أنَّ السفر المُتكرر سوف يكون جزءاً من حياتهما الزوجية. لم يكن أكاديمياً وحسب بل كاتباً أيضاً، وإذا تمّت دعوته إلى مُؤتمر، أو ندوة، أو جلسات نقاش فعليه الحضور هناك. كان يتنافس مع زملاء أصغر سناً وأكثر حيوية، والذين كانوا أحراراً في اتباع جدول المُحاضرات، وحضور أيّ مؤتمر يرغبون. كان من المُهمّ جداً بالنسبة إلى «رايان» أن يُحاضر وينشر كي يحتفظ بعمله.

كان ذلك بالضبط ما يُحاول فعله، إتمام أطروحة عن النمو المُستدام والتي ينبغي تقديمها في مُؤتمر بعد يومين في

«سان فرانسيسكو». تسببت الرحلة إلى الجنازة العائلية في إحداث فوضى في برنامج أعماله. إن لم يُفلح في تقديم هذه الأطروحة ونشرها، سوف يبدأ رئيس قسمه بإلقاء الخُطب عليه. لقد شكّل ضغط الكتابة إلى جانب عبء التدريس على نحو عام، ودفع الرهن العقاري، والحفاظ على السيولة جارية في قرضه الطلابي، كومة من الديون تتدحرج وتكبر مثل كرة ثلج على مرّ السنين.

في مكتب بيته، تكدّسَت عشرات النسخ من كتابه الأخير ، في حقيبة مع كتيبات ونشرات أُخرى. إلى جانب الحقيبة كان هناك لوحة ملصق إعلاني مطبوعة حديثاً كُتب عليها:

د. «رايان كيلغور»، جامعة القديس «جون»

تقديم الأطروحة، الجمعة الساعة الرابعة مساءً

تقديم ورشة العمل، الأحد الساعة الثانية عصراً

أومض الضوء الأحمر في طابعته كي يدلّ على احتشاء الورق، تماماً في أسوأ وقت. كان يحتاج إلى طابعة جديدة، ولكنَّ «صوفي» أصرَّت على ادخار كلّ أموالهم الإضافية من أجل تعليم «لوغان»، وكان على «رايان» أن يتدبّر أمره مع طابعة من طراز قديم، كي يذهب ابنه إلى مدرسة خاصة. ضرب الآلة بإحباط في اللحظة التي طرقَت فيها «صوفي» على النافذة.

تظاهر أنّه لم ينتبه لها. عندما استدارَت بعيداً نظر إلى فوق. كانت هناك مجموعة من الأولاد يلعبون حول حوض السباحة، الذي اعتبره «رايان» حفرة المال السامّ. كان الحوض يتطلّب باستمرار إضافة مواد كيميائية، والتي رُبّما يتمّ امتصاصها مُباشرة إلى داخل أجسام الأولاد.

كان هناك على الأقل دزينة منهم يتحلّقون حول «لوغان»، يضحكون وهم يرشّون «ميتزي» بخرطوم مياه. اِنزعجَت الكلبة، وراحت تنبح.

واصل «رايان» معركته مع الطابعة، رأى ورقة محشورة في الداخل.

«هيا! عليكِ اللعنة!».

نقرت «صوفي» على النافذة مُجدداً.

«ماذا؟».

«نحتاج إلى المزيد من المناديل هنا في الخارج».

تجاهل طلبها. «لم أطبع سوى نصف النشرات، وهذه الآلة الغبية توقّفَت عن العمل. هل فعلتِ بها شيئاً أثناء غيابي؟ هل قمتِ بتغيير المحبرة أو أيّ شيء؟».

تراجعَت تعابيرها وتكلّمَت بلهجة جديدة باردة: «لم يلمس أحد طابعتك النفيسة، «رايان»».

لديّ أمور أهمّ أقضي بها وقتي. إنَّه عيد ميلاد ابنك، وأنا حقيقة أحتاج مُساعدتك».

«مهلاً، لقد وافقتُ على إيصال أبناء عائلة «راندال» إلى بيتهم. أما الآن فينبغي علي أن أُنجز هذه الأوراق، اتفقنا؟ أمامي أقلّ من ساعة من أجل ارسال أطروحتي من أجل مجلة المؤتمر، إن لم أُقدّمها في الموعد، فلن يتمّ نشرها. ألا ترغبين في حصولي على وظيفة؟».

راح يقرع أنحاء المكتب كما لو كان كلّ ما يحصل هو خطأ «صوفي».

سألَت: «هل تعتقد أنَّ بإمكانك الحضور إلى الخارج بضع ثوان أثناء إطفاء «لوغان» للشموع؟».

«أجل، فقط أخبريني متى».

أجابت باقتضاب: «خمس دقائق».

«أجل عزيزتي».

عاد «رايان» إلى جهاز الكومبيوتر مُحاولاً الطباعة مُجدداً، بيد أنّ الآلة لا زالَت تُومض مُشيرة إلى وجود احتشاء بالورق.

هرولَت «ميتزي» عبر القاعة ودخلت مكتبه مُبللة بالماء، توقفت عند لوح العرض المطبوع بمهارة.

«ميتزي»، اِخرجي من هنا!».

اِعتقدَت الكلبة أنَّه يُناديها، وتوقّفت كي تتحرّك في اتجاهه.

«ميتزي، لا!».

هزت الكلبة جسمها بدلال، وبللت لوح العرض.

«لااااااا!» صاح «رايان»، ثمّ أطلق سيلاً من البذاءات. بات لوح العرض يسيل الآن بالحبر الأزرق. ضرب «رايان» الكلبة على مؤخرتها.

رمقته الكلبة بنظرة استعطاف وهو يُمسك بطوقها ويجرّها إلى الخارج نحو بركة السباحة.

في الخارج سكت الأولاد عندما ظهر «رايان» عند باب الشبكة المنخلية المفتوح.

نادى ابنه «لوغان» تعال إلى هنا! الآن!.

مشى «لوغان» ببطء وعلى وجهه نظرة حزن.

«لماذا تركت باب الشبكة المنخلية مفتوحاً؟».

«لا أدري. لستُ أنا».

«لا يهمّ. إنَّ إبقاؤه مُغلقاً هي مسؤوليتك».

حاولت «صوفي» التدخّل، بدور الشرطي الطيب.

«عزيزي، دعنا لا...».

«كلا، إنّ «ميتزي» هي كلبته، وكان بيننا اتفاق. ماذا كان الاتفاق؟».

وقف «لوغان» وقد احمرّ وجهه بعد أن تمّت إهانته أمام أصدقائه. بالكاد كان صوته مسموعاً: «أن أُبقي باب الشبكة المنخلية مُغلقاً».

حاولت «صوفي» ثانية: «رايان» إنّه عيد ميلاده».

«ما علاقة ذلك بأيّ شيء؟ إنّه في حاجة إلى معرفة معنى أن يكون إنساناً مسؤولاً، وأن يلتزم بما اتفقنا عليه. هل تفهم هذا؟».

استدار «لوغان» مُبتعداً ومشى نحو زاوية الحديقة.

«ليس الهرب هو الحل، «لوغان»».

وقف الأولاد مُنزعجين، غير واثقين ممّا يجب فعله.

كانوا بالنسبة إلى «رايان» مجموعة من الأطفال المُدللين المُزعجين، أبناء مدراء أغنياء، وأمهات حسناوات شقراوات جامدات بسيقانهنّ الطويلة وسياراتهنّ «ميني فان» التي كانت الواحدة منها تحتلّ مكان سيارتين لركنها. كان يُبالغ، ولكن لم يكن باليد حيلة. كان أحد الآباء مُشاركاً في العقود الآجلة للنفط أو مهما كانت التسمية، ولكن بالتأكيد لم يكن ذلك بالأمر الجيد.

تمنى «رايان» لو كان لدى «لوغان» أصدقاء ذوي آباء

واعين اجتماعياً، ولكنَّ «صوفي» ضحكَت على الفكرة. يبدو أنَّه لم يكن مثل هؤلاء الأشخاص في الحي بأكمله.

وقف «لوغان» وحده على جانب الحديقة مُتجهمّاً، بدا أنَّه على وشك الانفجار بالبكاء.

بدأ «رايان» يندم على كونه قاسياً إلى تلك الدرجة.

«هيا «لوغان» ليس الأمر سيئاً إلى هذه الدرجة».

قالت «صوفي»: «بلى إنَّه كذلك». نادَت على الأولاد: «حسناً. دعونا جميعاً نُجفف أجسادنا، ونأكل بعض الكعك».

ثمّ التفتت إلى «رايان»، كان وجهها البيضاوي يطفح بالغضب، الوجه الذي رآه عدة مرات مُؤخّراً. كانت غاضبة إلى درجة أنَّه لم يكن هناك داعٍ لأن تقول شيئاً.

«سوف أقوم بإيصال أبناء عائلة «راندال» إلى بيتهم»، قالها مُحاولاً أن تبدو لهجته تصالحية.

«كلا، سوف أقوم بذلك، كما أقوم بكلّ شيء».

«إنظري، أنا لستُ الشخص الشرير. أنا فقط أُحاول».

قاطعته قائلة: «هناك ست زجاجات في الثلاجة في الطابق السفلي، لماذا لا تذهب وتروّح عن نفسك.بما أنَّك غير قادر على فعل أيّ شيء آخر.

تركته وذهبَت تُواسي «لوغان».

لم يقُم أحد إطلاقاً بمُواساة «رايان»، الذي وقف لحظة وهو يشعر أنَّه وحش حقيقي. مع هذا شعر بالاستياء أيضاً. لماذا كان يُفترض به أن يعيل هذه الأسرة، ويكون كذلك أباً مثالياً؟

***

هبط درجات القبو المُظلم ببطء، أدار مفتاح الضوء وهو في طريقه نحو الأسفل. لكنَّه بدلاً من دخول الغرفة المألوفة، وجد نفسه في مشرب كحول ذي أنوار خافتة.

هناك في الأسفل، كان الهواء بارداً وهادئاً على نحو مُخيف باستثناء أغنية «جوني كاش». كانت الأسطوانة تدور في خزانة «غونوغراف» آلي مُضاءة، البقعة الأكثر نوراً في الغرفة، وهو نموذج مُرصّع بالجواهر من الستينيات، وكله أضواء زرقاء وحمراء.

جلس بضعة رجال شيّاب على مقاعد المشرب يشربون من زجاجات داكنة. كانوا باهتين ومُبهمين كما لو كانوا يجلسون في الضباب. مع هذا كان لكلّ واحد منهم وجه مألوف على نحو غامض.

أليس ذلك ساعي البريد الذي كان يُوصل البريد في شارعهم، والذي قضى نحبه قبل عدة سنوات في حادث

دراجة نارية على الطريق السريع؟ إقترب «رايان» أكثر. أليس هذا أخو السيدة «لوسي» البدين، الذي كان يقود سيارة مُثلجات في فصل الصيف، وكان الأولاد يُنصحون بتجنبه بكلّ الطرق؟ كلما دنا «رايان» أكثر، ازدادَت وجوههم ضبابية. على حافة المشرب، جلس رجل عجوز يرتدي قبعة بيضاء بالية، وهو يُدخّن سيجارة. كان وجهه الوحيد الذي يزداد وضوحاً وواقعية كلما اقترب «رايان». تسارعَت دقّات قلبه، فقد كان هذا والده، وقد بدا أكبر بكثير ممّا كان عليه في الصورة.

«أغمض «رايان» عينيه، ثمّ فتحهما ثانية.

هل يُعاني من نوبة مرضية؟ هلوسة؟ حلم صاف؟ قرر أنَّ ذلك ليس مُهمّاً. مشى وجلس إلى جانب الرجل.

قدّم نادل ضبابي زجاجة جعة إلى «رايان» دون أن يتكلّم. أخذ «رايان» الزجاجة وراح يشرب.

وجد نفسه يتحدّث إلى والده، كما لو كان حديثهما مُستمراً إلى الأبد.

«أسعى جاهداً إلى إنجاح الأمر، أقوم بما لم تقُم به مُطلقاً. أنا لستُ مثالياً، لكني على الأقل أعلم كيف أظهر وأُواجه مسؤولياتي، على عكسك أنت»).

نظر إلى والده. لقد بدأت كلّ مشاكله من عند هذا الرجل ذي الوجه المُجعد والخدين الغائرين، والذي كان يجلس في صمت.

سحب «روبرت» نفَساً من سيجارته، وحدّق إلى الأمام كما لو لم يكن «رايان» موجوداً، وكما لو أنّه لم يسمع ولا كلمة. لقد بدا غارقاً في أفكاره وبعيداً.

تابع «رايان»: «أتعلم، أنا لا أُشبهك في شيء أبداً. أنا لا أُؤذي الناس، لا أضربهم، لا أُغادر عندما تُصبح الظروف صعبة، لا أقف عاجزاً أمام مسؤولياتي مثل ابن عاهرة أناني».

بدا والده وكأنه ما زال غافلاً عن كلماته وحضوره.

مع هذا، عندما مرّت بهما نادلة جذابة شابة، لاحظ «رايان» أنَّ «روبرت» غمزها بإعجاب.

«آه، إذاً أنت مشغول جداً عن التحدّث معي، ولكنّك لستَ مشغولاً عن السيدات يا رجل؟ هل ستتخذها زوجة كي تهجرها لاحقاً كما فعلتَ مع أمي؟ سيدة أُخرى تُغريها وتستغلّها وتتحكّم بها؟ أنت لم تسمع كلمة واحدة ممّا قلتُ، أليس كذلك؟».

في لحظة من الغضب العارم أطاح «رايان» بزجاجة الجعة. انسكب السائل البني على المشرب.

حتى الآن لم يُبدِ والده أيّ ردة فعل، بيد أنَّ وجهه أصبح أكثر جدية، وهو يُراقب الجعة تتدفّق على سطح المشرب، وتُحيط الزجاجة.

همَّ بالمغادرة، واضعاً دولاراً على المشرب.

وقف «رايان» في وجهه، مُستعداً للقتال: «هيا قُل شيئاً! أخبرني شيئاً. أيَّ شيء!».

عدَّل «روبرت» قبعته، استدار ومشى نحو الدرج.

صاح «رايان»: «لا تتركني وتمشي!»، وتحوّل غضبه إلى استعطاف: «عُد!».

صعد «روبرت» الدرج بصمت، حاول «رايان» أن يتبعه، ولكنَّ قدماه تجمدتا كما لو كانتا مغموستين في إسمنت. لم يستطع القيام إلا بحركات بطيئة. وعندما وصل إلى أعلى الدرج، كان والده قد بدأ يتلاشى، ثمّ اختفى تماماً. لم يجد «رايان» أمامه الآن سوى ممسحة ومكنسة مسنودتين قرب الباب. توقّف وأحنى رأسه على الحائط. ما الذي يجري؟ رُبّما كان يفقد عقله حقاً.

دخل المطبخ ووجد «صوفي» واقفة والمنشفة في يدها في مطبخهم الوافر الإضاءة.

قالت: «لقد غادر جميع الأولاد. تستطيع العودة إلى مكتبك الغالي».

بيد أنّ «رايان» لم يكن واثقاً أنَّه يستطيع الكلام.

الفصل الخامس

لم يستطع النوم تلك الليلة، فما زال مشهد القبو يتكرر في ذهنه. لماذا ظهر والده؟ لماذا اختفى تماماً هكذا؟

هل كانت الهلوسات علامة على اضطراب عقلي من نوع ما؟

رُبّما كان يتعرض لسكتة دماغية. هل لديه الجرأة على إخبار «صوفي»، هل ستقلق إلى درجة تصرُّ فيها عليه أن يزور طبيباً في الحال؟

تمتمَت: «ما الخطب، أنت تروح وتجيء منذ ساعات».

«لا أعلم، أنا قلقٌ وحسب».

قالت بحنان وهي تفرك ظهره : «هل تودُّ الحديث عن ذلك؟».

قال: «كلا».

بقيَت صامتة برهة: «حسناً إذاً، هلّا تناولتَ حبة دواء أو شيئاً ما؟ أنت تجعلني أسهر، ولديّ يوم حافل غداً».

نهض وأخذ حبة مُهدئ، واستلقى على الكنبة.

تمنّى لو كان يستطيع إخبارها عن رحلته إلى «ميتشيغان»، وعن كلّ الذكريات، وعن حلم اليقظة الغريب عن والده، ولكنَّه كان خائفاً. بدا كلّ ذلك جنونياً للغاية. رُبّما ستطلب منه أن يبدأ بمراجعة أخصائي نفسي.

فكّر في أن يعود ويُعانقها، الأمر الذي طالما كان ترياقاً له عندما كان يعجز عن النوم، لكنَّه لم يرغب أن يُزعجها مُجدداً.

كانت الكنبة تُسبب الحكّة حتى من خلال الغطاء الذي ألقاه عليها. والأسوأ من ذلك أنَّها كانت مُجاورة لغرفة نوم ابنه، الأمر الذي جعله يسمع شخير الفتى الصغير، وصراخه الذي بدا نوعاً من الكوابيس؛ لقد جعله «رايان» ينهار بالفعل.

إستمرّ طوال الليل يُفكّر في تجربته الغريبة مع «روبرت»، ما كنهها، وما معناها؟ والأسوأ من ذلك كان ردة فعله الضعيفة في أول فرصة سنحَت له للحديث مع والده، أو مع نسخة خيالية منه، بعد كلّ هذه السنوات. لماذا لم يقُم بمُطالبته مُباشرة أن يشرح سبب هجرانه لعائلته؟ لماذا لم

يسأله كيف ينوي تعويض أُمّه عن سنوات الألم والحرمان؟

كلّما فكّر في الأمر أكثر، اشتعلت فيه نار الغضب والندم. كان يجدر به أن يلكمه هناك وفي الحال، ثمّ كان عليه أن يجرجره إلى الداخل كي يرى «لوغان»، كان يجدر به أن....

من دون قصد منه، استغرق في النوم.

***

إستيقظ «رايان» وارتدى ثيابه باكراً استعداداً للسفر. دخل المطبخ، حيث كانت «صوفي» واقفة أمام آلة صنع القهوة بنظرتها الباردة المُميزة، وهي تتظاهر أنَّ كلَّ شيء على ما يُرام. بيد أنَّ التوتر بينهما بدا جلياً.

قالت وهي تصبُّ فنجان قهوة دون أن تنظر إليه: «صباح الخير، هل وصلَت أوراقك إلى المؤتمر في أوانها؟».

« لم أتلقَ جواباً عبر الرسائل الالكترونية ، ولذلك سوف أكتشف الأمر عندما أصل إلى هناك على ما أظنّ. ليس بالأمر المُهمّ. لا أحد يقرأ هذه المجلات على أيّ حال».

التفتَت «صوفي» نحوه قائلة: «حقاً؟ اعتقدتُ أنّ نشرها مصيري للغاية بالنسبة إلى عملك. أليست هي السبب وراء تصرفك بطريقة مُستبدة البارحة، وإهانتك لابنك أمام أصدقائه؟».

«انظري «صوفي»، رُبّما بالغتُ في ردة فعلي البارحة تجاه «لوغان»، أنا مُستاء جداً».

قالت «صوفي»: «أنت تنزعج دائماً «رايان» ولكن بعد الحادثة، أما نحن فنشعر بالانزعاج أثناء حدوث الأمر».

إتجهَت نحو الصالة ونادَت على «لوغان»: «هيا حبيبي، حان وقت الانطلاق!».

كان «رايان» عند الباب يُحضِّر حقائبه عندما وقع نظره على «لوغان» وهو يقف مرعوباً، نصف مُختبئ أعلى الدرج. يبدو أنَّه كان ينتظر مُغادرة «رايان» حتى ينزل.

تمزّق قلب «رايان» في صدره: «مرحباً يا فتى. أنت فتى ناضج الآن. اِعتنِ بأُمّك في غيابي، اتفقنا؟».

لم يُجب «لوغان» و لم ينظر نحوه حتى.

«سوف أعود سريعاً».

لا شيء.

مشى «رايان» خارج المنزل، تاركاً أرضاً غريبة مُتجهاً نحو أُخرى.

***

على الرغم من أنَّه قضى مُعظم حياته في الأسفار، إلا أنّ «رايان» ما زال يشعر بانزعاج جديد إزاء كلّ عائق

يتعرّض له أثناء رحلته. لقد أدى الركوب مُدة ساعة في الحافلة التي تُوصل إلى المطار والتي تعجّ برجال أعمال يُثرثرون على هواتفهم الخليوية، إلى حرمان «رايان» من القيلولة التي كان في أمسّ الحاجة إليها. كانت رحلات المطار مُزدحمة ولا نهاية لها، ثمّ عندما مرَّ بنقطة التفتيش، انتهى به المطاف خلف سيدة هندية تسبب الساري ذو اللون الفيروزي الذي ترتديه بإطلاق جرس الإنذار، الأمر الذي استلزم إعادة تفتيش مطوَّل.

كانت الحرارة داخل الطائرة لاهبة. أمّا الرجل الذي جلس بالقرب منه فقد بالغ في وضع عطر بعد الحلاقة، بالإضافة إلى ثرثرته التي لا تتوقّف، ممَّا جعل «رايان» يرغب في الصراخ. عند وصوله، كان مُضطراً كي ينتظر سيارة الأجرة، لأنّهم أضاعوا رقم حجزه.

ما إن استقلّ السيارة حتى وقع فوراً في شرك زحمة سير. تلألأت الشمس على السطح المعدني لمئات السيارات العالقة. من وجهة نظره، بدَت «سان فرانسيسكو» التي كان يتطلّع إلى زيارتها، مُختلفة بعض الشيء عن ضواحي «نيويورك» التي كان يُسافر على طرقاتها السريعة كل أسبوع. على الأقل كان يُسافر بسيارته الخاصة حينها.

عندما قام بتشغيل مُكيف الهواء في هذا النموذج الصفيحي الصغير، لم تظهر أيّ برودة. قام بتعديل اتجاه

شفراته وضغط على الأزرار، لكن يبدو أنَّ المروحة لم تكن تعمل.

بدت كلُّ حادثة من هذه الحوادث، إهانة شخصية لـ «رايان» الذي بدأت تعاسته في هذه الحياة تكشف عن ذاتها على تعابير وجهه.

كان يستطيع أن يراها بنفسه في مرآة الحمام عندما كان يغسل وجهه كلّ صباح. كانت عيناه نصف مُغمضتين، كما كان يكزُّ على أسنانه. بدا كأنَّه مُستعدٌ دائماً للخوض في مُواجهة ما. إذا لم ينتبه لنفسه سُرعان ما سيُشبه جدته، التي حفرَت وجهها تعابير السخط.

في الوقت الذي وصل فيه «رايان» إلى الفندق الذي يُعقد فيه المؤتمر كان مُنهكاً تماماً. دخل قاعة الفندق ورأى لافتة ترحيبية كُتب عليها: مؤتمر الكوكب الأخضر الجديد: علم البيئة والتنوع البيئي ومستقبل الأرض.

كان هناك حشد صغير من الأشخاص يتجاذبون أطراف الحديث، ويُسجّلون أسماءهم ويأخذون الكتيبات التوضيحية، ونشرات التعليمات. شعر «رايان» بموجة من الثقة لدى رؤيته هذه المجموعة. على الأقل هذا مكان يتمّ تقديره فيه، ومكان له فيه قيمة. ثمّ لبس نظاراته كي يُعاين جدول المُحاضرات، فاكتشف أنَّه قد تمّ نقله من غرفة إلى أُخرى أصغر. كان مُندهشاً من السبب: «آل غور» سوف

يتحدّث في المكان والموعد اللذين كانا مُخصصين له.

رفع «رايان» نظره وراقب «غور» وهو يدخل القاعة، وبدأ في التحدّث إلى مُنظّم المُؤتمر.

دنا «رايان» من شاب يملأ القوائم:

«لم أكن أعلم أنَّ «غور» سوف يُلقي كلمة».

إبتسم الشاب وقال: «بالتأكيد لم يكن أحد يعلم، لقد قرروا الأمر في آخر لحظة».

قطب «رايان» حاجبيه: «إذاً، سيتحدّث في الوقت الذي سأتحدّث فيه، أنا «رايان كيلغور»، لقد أعطيتموه الغرفة الأوسع التي كان من المُفترض أن تُعطوني إياها، صحيح؟».

«حسناً، إنَّه يجذب الكثير من الحضور، يبدو ذلك أكثر منطقية».

«لماذا لم يتمّ إخباري من قبل؟».

«لم يتأكّد الأمر إلا في وقت مُتأخّر الليلة الماضية. لم يكن التنبؤ بجدول أعماله مُمكناً على ما أظنّ. أعني، إنَّه «آل غور»، و لم يعتقد أحد أنَّها ستكون قضية».

«حسنا، إنَّها قضية بالنسبة إليّ».

التفتَ الشاب وراح يتكلّم في سمّاعة، من الواضح أنَّه

كان يُحاول أن يصرف «رايان» الذي أصبح وجهه ساخناً ويتوهّج احمراراً.

تراكمَت أمامه إهانات الأيام الماضية وضربته مثل موجة: الكلبة، «صوفي»، «لوغان»، الإهانات التي تعرّض إليها في السفر، كلّ هذا كي يصل إلى مُؤتمر لم يكن في حاجة إليه كلياً.

لم يستطع «رايان» أن يدع الأمر وشأنه.

قاطع الرجل الذي لا زال يتمتم في السماعة:

«أتعلمِ، لا أستطيع أن أُصدّق ذلك. مَن تُراه سيأتي كي يستمع إلي، بينما «آل غور» هنا؟».

اِبتسم له الرجل ابتسامة باهتة: «أنا واثق أنَّه لديك الكثير من الحضور. لا يُحبّ الجميع «آل غور»».

«أنا واثق أنَّك على خطأ. أرني أين وضعتني. رُبّما في مقصورة ما!».

لم تكن مقصورة، بل كانت مقصفاً للموظفين مع آلات البيع وطنين الثلاجات، بالإضافة إلى مُتطوعة اِسمها «آمبر»، فتاة مرحة داكنة الشعر في العشرينيات من عمرها، وقد كانت مُنشغلة بترتيب الطاولة التي وضعت عليها شرائح العرض، ونسخ من أطروحة «رايان» الأخيرة، ولوحة الملصق الإعلاني عن كتابه حول حضارة «مايرونا» البرازيل.

بدا غلاف كتابه وهو مُكدّس في الغرفة الكئيبة، أكثر تفاهة من أيّ وقت مضى، وفي نظر «رايان» كان الكتاب يصرخ عملياً أنَّه منشور على حساب كاتبه الشخصي. قام المُنظمّون بتخفيض السعر إلى 5،95 دولار، والذي يُعتبر إهانة في حدّ ذاتها، علماً أنَّه يُكلّف 8،95 كي يتمّ طباعته. كانت لوحة الملصق الإعلاني قد تبللت بالماء جراء حادثة الكلبة في البيت، وبدَت غير مُتقنة إلى حدّ كبير، وكأنَّ طفلاً قام بإعدادها.

تمتم «رايان»: «كيف يُمكن لأحد أن يجدني حتى لو أراد ذلك؟ أنا لستُ حتى في المبنى الرئيسي».

قالت «آمبر»: «لا تقلق حيال ذلك. سوف يجدك الناس. لقد طبعوا مُلحقاً بالبرامج مع تصحيح الأمكنة. كما أنَّ الأمر مُقتصر على اليوم. عندما تُدير حلقة النقاش غداً، سوف تعود إلى المبنى الرئيسي».

«ما الجيد في الأمر إن لم يسمع أحد بورقة العمل كي نبدأ منها؟».

ضحكت «آمبر» كما لو كانت سلبيته ساحرة للغاية.

«سوف يكون هناك حفلة كوكتيل مع «آل غور» في وقت لاحق بعد ظهر هذا اليوم. أستطيع أن أتدبّر أمر حضورك إليها».

«ألستُ مدعواً مُسبقاً؟ اعتقدتُ أنَّني مُتحدّث رئيسي».

«إنَّهم يحاولون تحديد العدد. أستطيع استخدام علاقاتي».

«إنسِ الأمر، ليس لديّ وقت كي أذهب على أيّ حال. هذه التجربة برمتها مُهينة وغبية. لو كان «آل غور» يعلم ما فيه خيره، لابتعد عن طريقي».

أخذ «رايان» لوحة المُلصق الإعلاني والحامل ووضعهما خارج الغرفة. ما إن انتهى حتى وجد نفسه مُحاطاً فجأة بثلة من رجال الأمن البدينين القصيرين، والذين يحمل كلّ منهم سماعة صغيرة في أذنه.

قال أضخمهم: «هلّا أتيتَ معنا سيدي؟».

«لماذا؟ أنا أتحضّر من أجل تقديم عرضي».

«أنا واثق أنَّهم سينتظرونك».

«آه، حباً بالإله!»، قالها «رايان» وهو يتبعهم إلى المصعد، ثمّ إلى غرفة في طابق أعلى.

سأل: «ما الأمر؟».

قال أقلُّهم ضخامة: «لقد تمّ إبلاغنا أنَّك وجّهت تهديداً إلى السيد غور».

«لقد أخذ «آل غور» غرفة مؤتمراتي، هذا كلّ ما في الأمر».

«وما الذي كنتَ تنوي فعله إزاء ذلك؟».

«لا شيء، كنت فقط أثرثر. أنا أُكنُّ احتراماً كبيراً للسيد «غور».شعر أنَّه يزداد احمراراً وحرارة: «حقاً. لم أكن أعني شيئاً بتعليقي».

«نحن نأمل ذلك بالتأكيد، لكنَّنا سوف نُبقيك تحت أنظارنا خلال الوقت المُتبقي لك هنا. لا تنسَ هذا».

«حسناً، أنا آسف حقيقة، هل أستطيع الذهاب الآن؟».

«نعم، إذهب».

أسرع «رايان» إلى المصعد، وهو ينظر إلى ساعته. لقد تأخّر عشر دقائق. مشى نحوه رجل مألوف الملامح أصلع الرأس صافي الوجه.

«هل أنت جزء من المؤتمر؟».

«نعم» قالها «رايان» وهو يكبس الزر مرة ثانية.

«هل ستُقدم أطروحة؟».

«أجل».

كان «رايان» لا يزال مُحرجاً إلى درجة كبيرة بسبب توجيه الاتهام له مثل أيّ مجرم معروف.

أصرَّ الرجل قائلاً: «ما موضوعها؟».

وصل المصعد، نظر «رايان» إلى الرجل: «آسف لقد

تأخّرتُ على موعدي». دخل إلى المصعد وعندما فُتح بابه هرع إلى قاعته.

قال «رايان»: «آسف يا جماعة، لقد تمّ تأخيري».

نظر إلى المجموعة الصغيرة التي كانت في انتظار الاستماع إليه. جلس أقل من عشرين شخصاً على نحو مُتفرّق في أنحاء الغرفة، وبالكاد ملأوا المقاعد القابلة للطيّ التي وضعتها «آمبر».في الحقيقة، وضعَت «آمبر» فاصلاً مُتحرّكاً من الستائر كي تجعل الغرفة تبدو أصغر، وإلا شغل جمهوره أقلّ من ربع المساحة.

لم يخب أمل «رايان» وحسب، بل كان مُحرجاً للغاية، وكأنَّ هناك مَن يُراقبه ويُدوِّن مُلاحظات عن نجاحه البائس. كان هذا الشعور بالفشل ساحقاً جداً، وبدا أنَّه نشأ من الماضي البعيد. ما الأمر بالضبط؟ هل هو شعوره عندما كان ولداً يملأ الاستمارة ويترك خانة الوالد فارغة؟ هل هو مقعد الأب الفارغ في المُدرجات كلّما غنى في الجوقة، أو عزف على الطبل، أو في لحظة تخرّجه من الثانوية أو الكلية؟ لم يكن شيئاً ارتكبه، أو أدركه هو، ولكنَّه شعر به.

سمع صوت حفيف قماش، وعندما التفت وراءه وجد الستارة الأرجوانية قد تحرّكَت. لقد كان أحدهم هناك، ولكنَّه اختفى الآن.شعر «رايان» أنَّه كان رجلاً بالتأكيد، على الرغم من أنَّه لم يكن قادراً على تحديد سبب تأكّده من كونه رجلاً.

فكّر: «عظيم، هلوسة جديدة!».

عرضَت شاشة جهاز الإسقاط عرضه التقديمي في برنامج «باور بوينت». أظهرت الشريحة الأولى صورة غابة مطرية تمّ تجريفها خلف طفل «مايورونا» حزين.

تابع «رايان» مُحاضرته: «أقترح أننا نستطيع إيجاد الحلول الأكثر فعالية لوضعنا الحالي، من خلال دراسة الحكمة التقليدية للحضارات البدائية الطبيعية الباقية في هذا العالم مثل حضارة «الماتيس» و«المايورونا» في «البرازيل».

لم يكن واثقاً إن كان أحد منهم مُهتماً بما يقوله، فلم يكن ذلك واضحاً. كان رأس إحدى السيدات المُسنّات يتدلّى، كما لو كانت نصف نائمة، وكان هناك زوجان آسيويان يبدو عليهما أنّهما وجدا نفسيهما وسط الجمهور نتيجة خطأ فادح، خصوصاً أنَّ الرجل كان يُضيّع الوقت باستمرار باللهو في جهاز الكتروني. أصدر فجأة صوت صفير عال.

توقّف «رايان» برهة كي يرمق الرجل بنظرة ساخطة، ولكنه بدا غافلاً ومُنشغلاً أكثر من قبل. ثمّ تابع «رايان» بقوة كما ليُقنع الجمهور بأهمية موضوعه.

«إنَّ علاقتهم مع الأرض بديهية ومُتناغمة. ولكنّ الخطر المطلق الذي نُواجهه...».

الصافرة من جديد. كان الرجل الآسيوي مُنشغلاً الآن

بجدية في إرسال رسالة، دون مُحاولة إخفاء الأمر. لم يبدُ على زوجته حتى أيّ انزعاج من سلوكه.

واصل «رايان» بانزعاج مُتزايد.

«يكمن الخطر الداهم في أنَّه قد تمَّ إبادة هذه الحضارات بالسرعة نفسها التي أُزيلت فيها هذه الغابة المطرية من خلال سياسة الشركات الآخذة في التوسّع والتي تقودها طبقات اجتماعية مُهيمنة. ذات طريقة تفكير مهووسة بالسلطة، ومُستبدة».

لدى الصفير التالي، انفجر «رايان»: «إذا واصلتَ اللعب بذلك الهاتف فسوف آتي إليك وأنتزعه من بين يديك اللعينتين!».

نظر إليه الرجل الآسيوي وهو مُتفاجئ، وغير مُصدّق.

«أجل أنا أتحدّث إليك!».

استدار الرجل إلى السيدة التي تجلس بالقرب منه وقال شيئاً بلغة أُخرى.

قالت السيدة: «آسفة. إنّه لا يتكلّم الإنكليزية».

«إذا كنتما لا تفهمان الإنكليزية فما الذي تفعلانه هنا؟».

حاول «رايان» أن يجعل حجته مُتماسكة، لكن عبثاً.

«لماذا لا تجدان مُحاضرة باللغة الصينية إذا كنتما تجدان مُحاضرتي مُملة؟».

صرّحَت السيدة «نحن يابانيان».

قام أحد الحضور بالتنحنح، بينما وقف آخر. انتهت محاضرة «رايان» بناء على تقييم صامت، ومُجمع عليه أنَّ «رايان» غير مُستقر، بل رُبّما فقد عقله تماماً.

***

جلس «رايان» عند حافة مشرب الفندق أمام كأس فارغة، مُحاولاً لفت انتباه النادل.كلّما اقترب النادل من «رايان»، تمّ تأخيره بتعليق من نادلة المشروبات ذات الشعر الأحمر، والتي ترتدي زياً أسود ضيقاً، والتي حامَت حول «رايان» كأنَّه لم يكن موجوداً. تجهَّم «رايان». ما الذي يجعل الناس يعتقدون أنَّه من المُمكن تجاهله بسهولة؟ هل هي الطريقة التي يُقدّم بها نفسه، أم أسلوبه؟ قاطع النادل أفكاره:

«آسف لجعلك تنتظر». دنا منه وقال بطريقة تآمرية: «يا لها من لعوب».

منع «رايان» « نفسه من التعليق، وقال: «أعطني شراب «بيلسنر»، لا بل أعطني اثنين».

«اثنان معاً؟».

«أجل حتى لا أضطر ثانية إلى إلهائك عن طقوس المواعدة خاصتك».

نظر النادل إليه نظرة قذرة وأحضر له زجاجتين. ما إن شرب «رايان» الزجاجة الأولى حتى خفتت الأنوار، على الرغم من أنَّ أحداً غيره لم يلحظ ذلك. في الحقيقة، يبدو أنَّ الزبائن الآخرين تراجعوا إلى الضوء الخافت. مع هذا استطاع «رايان» أن يُميّزهم: السيد «مارشال» ذو العضة المُتراكبة والشعر المُستعار الأحمر، أستاذه في مُختبر المدرسة الإعدادية. ساعي البريد الألماني الأشقر، والذي كان اسمه «راندي» أو شيء من هذا، والذي كان يضع قَرنًا وَغْل على قبعته طوال موسم الأعياد أثناء توصيله البريد. ظنَّ «رايان» أنَّه تعرّف إليهم جميعاً، على الرغم من أنَّهم كانوا يزدادون غموضاً. الشيء الوحيد الذي كان واضحاً تماماً: يد كبيرة تقترب من حيِّزه، وتأخذ زجاجة الجعة الثانية، وكانت يد والده.

استدار «رايان» كي يرى «روبرت»، وقد جلس مُجدداً على مقعد المشرب جانبه. بدَت الغرفة من جديد شديدة البرودة، وها هو غناء «جوني كاش» يملأ الأجواء. كان الزبائن الآخرون غير واضحين، وكانت أصواتهم بعيدة وغير مفهومة. أغمض «رايان» عينيه ثمّ فتحهما من جديد. ما زال طعم الجعة دافئاً في فمه، أحرق دخان السجائر عينيه، وكانت رائحة البصل المقلي لاذعة وحقيقية.

إن كان هذا حلماً، فهو حلمه الأكثر واقعية.

قال «رايان»: «من المُضحك أنّنا نلتقي هكذا دائماً»، على الرغم من أنّه لم يجد ذلك مُضحكاً البتة، بيد أنّ والده ما زال ظاهراً بجلاء أمامه.

كيف يُمكن أن يحصل هذا؟ ما نوع هذه التجربة؟ راح «رايان» يُراقب والده وهو يمضغ حبة فول سوداني بمشقة، ويحتسي رشفة جعة، ثمّ يُنظّف أسنانه بعود الأسنان، كما لو كان وحده تماماً.

على كلّ حال اتجه «رايان» نحوه بجرأة: «تستطيع أن تتجاهلني قدر ما تشاء، لأنّني لستُ مُهتماً بك. أنا لا أُشبهك أبداً. لديّ مشاكلي الخاصة». مكتبة

التقط «روبرت» شمعة من على سطح المشرب كي يُشعل سيجارة.

تابع «رايان»: «في حال لم تلحظ. أنا أُحاول فعل شيء له معنى في حياتي، أُحاول أن أجد حلولاً لمشاكل خلقها رجال كهوف على شاكلتك يدوسون ما حولهم، ويُدمّرون كلّ شيء، وكلّ إنسان يعترض طريقهم».

ما من ردة فعل. أُصيب «رايان» بذعر مُفاجئ.

لقد تبخّر كلّ ما خطط لقوله كالدخان. لم يكن يستطيع أن يعلم ماذا كان الآخرون في المشرب يُفكّرون به، لأنّه

فجأة لم يعُد هناك آخرون، فقط هو ووالده، عالقان في منطقة ضبابية أبدية.

«لماذا لا تكفّ عن اللحاق بي؟ أنت عالة على الغير. لقد أصبتَ كلّ شيء بعدواك. عُد إلى «غارنفيل» أو أيّ كان المكان الذي انتهى بك المطاف إليه. فقط دعني وشأني».

تغيرت تعابير وجه «روبرت» فجأة، كما لو أنَّه التقط أخيراً كلمات «رايان». راح يُحدّق في الشمعة، وظنَّ «رايان» لطرفة عين أنَّه سوف ينظر إليه.

عوضاً عن ذلك، أقبلَت عليه «آمبر» المُتطوعة في المؤتمر مع ابتسامة على وجهها فجأة تماماً كما اختفى والده.

«ها «رايان» لقد شعر مُنظمو المؤتمر بالسوء حيال اضطرارهم تغيير مكان مُحاضرتك، ولذلك قاموا بترتيب حفل غداء لجميع المُحاضرين! وسيحضر هناك بعض الناشرين المُهمّين الذين يتطلّعون إلى التعاون مع أسماء مُهمّة مثل اسمك».

كان «رايان» لا يزال مذهولاً من التجربة التي خاضها.

تمكّن من أن يقول: «آه شكراً، لكن لا أعتقد أنَّني سأتمكّن من الحضور».

بدت «آمبر» مُحبطة: «لكنَّها سوف تكون فرصة عظيمة بالنسبة إليك. في السنة الماضية...».

نهض «رايان»: «أجل، شكراً، لكن لديَّ أمور مُهمّة عليَّ القيام بها».

توجّه نحو الطابق العلوي إلى بهو الفندق المُنير حيث صخب الناس.

عند طاولة بواب الفندق سأل «رايان»: «هل تستطيع مُساعدتي على إيجاد بلدة صغيرة إلى الشمال من هنا؟ أعتقد أنَّها تدعى «غارنفيل».

«بالطبع»، قالها الرجل ثمّ استدار نحو جهاز حاسوبه.

«غارنفيل». لم أجد مكاناً بهذا الاسم. ماذا عن «غورنفيل»؟

«أجل «غورنفيل» أعتقد أنَّها هي. أين تقع؟ كم تبعد من هنا؟».

«إنَّها في مقاطعة «سونوما» قرب النهر الروسي. رُبّما على بُعد مئة ميل».

t.me/ktabpdf t.me/ktabrwaya

الفصل السادس

في الصباح التالي وفي أثناء قيادة «رايان» للسيارة، قام بعدة أمور في وقت واحد، ولكن كلُّها دون تركيز.

شرب فنجان قهوة بيد، بينما أدخل رقماً إلى هاتفه الخليوي باليد الأُخرى، ناور بمهارة بسيارته المُستأجرة على جسر «غولدن غيت» مُتجهاً نحو طريق 101.

قام بكلّ ذلك وهو يُحرّك بأصابعه بقلق، فتحة مُكيّف الهواء التي بدا أنَّ هناك بطاقة محشورة في داخلها.

ردّ صوت ذو لكنة أجنبية على هاتفه الجوال: «معك «براد» هل يُمكنني مساعدتك؟»..

لو لم يكن «رايان» غاضباً جداً لضحك عالياً على الاسم المزيف.

«أجل، لقد اتصلتُ أربع مرات حتى الآن، وتكلّمتُ مع خمسة أشخاص مُختلفين».

«كيف يُمكنني مُساعدتك؟ هل تُواجه مشكلة في اكتشاف سيارة الأجرة؟».

«كلا، أنا على الطريق بالفعل. ولقد أخبرتكم مُسبقاً عن المُشكلة. لقد حصلتُ على سيارة جديدة، ولكنّ التكييف لا يعمل، وحرارة السيارة حوالي تسعين درجة وأنا أغلي».

قال وهو يطبع في الخلفية: «آسف جداً سيدي، هلّا شرحت المشكلة بدقة أكثر؟».

«إنّ المُكيّف لا يعمل! هناك قطعة ورق عالقة في داخله! كيف يُمكنني التوضيح أكثر من ذلك؟».

اِنقطعت الإشارة عندما كان «براد» يقترح عليه أن يستبدل السيارة بأُخرى.

رمى «رايان» الهاتف على المقعد الذي جانبه، وبينما كان يقوم بذلك جنحَت سيارته قليلاً إلى حارة أُخرى على الطريق، وكادت أن تصطدم سيارة «بريوس» تسير جانبه.

عاد يُحرّك فتحة المُكيف بأصابعه حتى التقط أخيراً بأطراف أصابعه طرف البطاقة ثم قام بسحبها خارجاً.

كُتب على البطاقة «نُزُل ضوء الشموع»، مبيت

وفطور، «سيباستوبول - كاليفورنيا». كان هناك رسم تصويري لشمعة بالإضافة إلى عنوان ورقم هاتف. قلَّب البطاقة، فوجد على ظهرها خريطة لموقع المكان، وأخيراً اشتغل مُكيّف الهواء.

عندما كان يقطع المسافات في اتجاه المناطق البعيدة التي تشغلها الغابات ذات الأخشاب الحمراء، فكّر كم كان يُحبّ القيادة وحيداً، الأمر الذي كان يسمح لتفكيره أن يُعيد النظر بحرية فيما كان يحدث معه. شعر كأنّه رُبّما في خضم تجربة روحانية مُكثفة. لم يشعر من قبل أبداً بشيء مُشابه لهذا لا من بعيد ولا من قريب، إذ أنه في حياته الشخصية، طالما كان شخصاً مُتشككاً في الأحلام، الحدس، التنبؤ. بيد أنَّه شعر اليوم كما لو كانت كلّ مراحل حياته تتصادم، وأنَّه لا يملك السيطرة لا على كيفية ولا على زمان حدوث ذلك.من الواضح أنَّه كانت هناك عوالم لم يكن يدري عنها شيئاً.

شعر بالمُعاناة والخوف والنشوة في الوقت ذاته. كان غير مُستعد لإخبار «صوفي» أو أيّ أحد بالأمر. كان يخشى إن تكلّم ألا يظهر له أبوه مُجدداً.

في نهاية المطاف وصل «رايان» إلى تقاطع طرق حيث وجد لافتة صغيرة كتب عليها: «غرونفيل» تُرحّب بكم، بلدة من بلدات «أمريكا» الأصيلة!

أضفت أبنية الطوب من مطلع القرن الماضي، والساحة العامة المُحاطة بالأزهار ورقعات الشطرنج في الهواء الطلق على القرية جواً ودوداً ومُرحِّباً.

ركن «رايان» سيارته في موقف سيارات مركز تسوّق «سيفواي»، وتفحّص الطريق العام في مُحاولة منه لمعرفة كيف يبدأ بحثه. وقع بصره على حانة «برادايس بريري».

مشى في الغرفة الباردة المُظلمة كقبو، والتي تفوح منها رائحة البصل المقلي. كان هناك مُباراة غولف على التلفاز المُثبت فوق المشرب، ولكنّ الصوت صامت. كانت كلّ أعين الزبائن مُثبتة عليه على كلّ حال. رأى «رايان» بضع عائلات يتناولون الغداء، ورجلان يحتسيان الجعة عند المشرب. جلس هو الآخر عند المشرب. وضع نادل ذو شعر طويل مردود إلى الوراء أمامه قاعدة من أجل حماية المائدة.

«ماذا أُحضر لك؟».

«أنا هنا من أجل جمع بعض المعلومات وحسب».

«حسناً، يُمكنك أن تشرب وتسأل في الوقت نفسه، أليس كذلك؟».

«حسناً، مشروب الزنجبيل «جينجرايل».

وضع النادل علبة أمامه: «ما الذي تودُّ معرفته؟».

«أُحاول أن أجد شخصاً أعتقد أنَّه يعيش في «غرونفيل».

أخرج «رايان» صورة والده، فانحنى النادل كي يراها.

«اِسمه «روبرت كيلغور»، هذه صورة قديمة جداً، إنَّه الآن بين الخامسة والسادسة والسبعين من عمره. إنَّه مُدمن خمر، ولذلك اعتقدتُ أنَّه رُبّما...»،

أمعن النادل النظر في الصورة، ثم هزَّ رأسه: «لا أعرفه. هذا المكان يرتاده الناس في الإجازات. أمّا السكان المحليون فيذهبون إلى حانة «راي» بالقرب من هنا في شارع «ريفر رود».

اِحتسى «رايان» مشروبه، وأعطى النادل بقشيشاً قبل أن يسير مسافة عدة أبنية نحو حانة «راي»، وهي مبنى مسقوف بدا مثل منشأة تخزين، لولا العلم الأمريكي واللافتة التي تقول: أوقاتٌ سعيدة في كلّ ساعة! كان موقف السيارات خالياً سوى من دراجتين ناريتين.

عندما دخل «رايان» وجد رجلين قد ربطا شعرهما على شكل ذيل حصان يجلسان عند مُؤخّرة المشرب، وقد رفعا أقدامهما إلى الأعلى، وهما يُشاهدان مباراة كرة قدم على التلفاز. ارتديا سروالين من الجينز باهتين ضيقين، وسترتان من غير أكمام كشفتا عن وشوم واضحة. شعر «رايان» بالتهديد من مُجرّد النظر إليهما.، فقد كانا من نوع الرجال الذين قد يحشروه في زقاق إن اعترض طريقهم ذات يوم.

حاول أن يشدّ جسمه كي يبدو أطول ما يُمكن، وركّز على التحدّث مع النادل وهو رجل مُتعب في الستينيات من العمر بدأ شعره بالتراجع، وقد بدا مُنهكاً حسبما شعر «رايان».

هزّ رأسه بالنفي عندما سأله «رايان»، ثمّ التفتَ إلى راكبي الدراجتين الناريتين وسألهما: «هل يذكُر أيّ منكما رجلاً يُدعى «روبرت كيلغور»اعتاد أن يأتي إلى هنا؟».

نظر أحد السائقين إلى الصورة وهزّ رأسه، بينما راح الآخر يتفحّص «رايان».

«ماذا تُريد منه؟».

«هناك عمل بيننا يحتاج إلى تسوية».

ضحك سائق الدراجة النارية بسُخرية وقال:«أجل، لقد سمعتُ هذا من قبل. أشتمّ رائحة المتاعب».

«هل تعرفه؟».

تجاهله الرجل وقال لصاحبه: «هل تقول البوذية شيئاً عن حفر قبرين؟».

«قبل الشروع في الانتقام، يحسن بك حفر قبرين. لكنّها ليست بوذية بل طاوية».

قال النادل:«كلا ليست طاوية بل كنفوشيوسية».

«كلا إنَّها طاوية. أنا أعلم».

بدت البلدة بأكملها خارجة عن المألوف بالنسبة إلى «رايان». لماذا يقتبس سائقو الدرجات النارية والنادل من الحضارة الشرقية؟ ولماذا ذكر أحدهم الانتقام؟

سأل «رايان» غاضباً: «انظرا، هل تعرفانه يا شباب أم لا؟».

«آسف يا رجل. لا أستطيع مُساعدتك».

حدَّث «رايان» نفسه : لكنَّه يعرفه. قطعاً يعرفه.

صاح النادل لحظة انطلاق «رايان» بسرعة خارج الحانة: «رُبَّما ترغب في البحث عنه في حانة «ريو نيندو هاوس»، إنَّها على الطريق السريع رقم 116».

لا زبائن بعد في حانة « ريو نيندو». كانت الحانة التي تُشبه المصرف من حيث الهيكل، تمنح إحساساً بالأبدية، وكأنَّها قد حُفظت من العهد الرعوي المُبكّر. كانت الغرفة الكبيرة الخشبية خالية من الزبائن. كانت هناك مروحة صناعية تدور في أحد الزوايا، وفاحت من المطبخ رائحة القهوة والدجاج.

سلَّم «رايان» صورة أبيه إلى المُضيفة التي كانت تقف على المنصة كما لو كانت على وشك البدء بتقديم عرض مُنفرد أمام الغرفة الخالية. كانت هناك مجلة «الناس» مفتوحة

أمامها. بالمقلوب، وقد تمكّن «رايان» من أن يرى مقالاً عن مُمثلة لم يسمع عنها من قبل خسرَت خمسة وثمانين باوندا. بيد أنه لم يستطع أن يتخيّل لماذا استدعى ذلك كتابة مقال، ولماذا كانت هذه السيدة مُهتمة.

كانت المرأة تضع شارة تقول: «مرحباً أنا «تامي»»، مثل مُعظم النساء اللاتي عرفهنّ». بدَت كأنَّها بذلَت جهداً كبيراً كي لا يظهر سنها الحقيقي، لكنَّه تخيّل أنَّها في الستينيات من العمر.

كان شعرها باهتاً وقد رُبط إلى الأعلى ممّا كشف عن بعض الشيب عند السالفين، أما وجهها النحيل فقد طلي بظل مُضلل وافر بلون الخوخ.

قالت بعدما عاينَت الصورة التي أعطاها إيّاها «رايان»، ثمّ نظرَت إليه: «إنَّه رجل بهيُّ الطلعة، مَن هو؟».

«والدي. إنَّها صورة قديمة جداً».

نظرَت ثانية: «أستطيع أن أرى الشبه. يبدو لي أنَّني رأيته في مكان ما. هل لديك صورة أحدث؟».

«كلا، هذا كلّ ما لديّ. سمعتُ أنَّه كان هنا برفقة سيدة منذ عشر سنوات، أو رُبّما أقلّ».

«كنتُ هنا آنذاك. يجب أن أتذكّر، لكنَّني خسرت بعض الخلايا الدماغية منذ ذلك الوقت». ضحكَت.

لاحظ «رايان» حينها أنّها كانت تشرب سائلاً ذهبي اللون في كأس قصير وثخين، وأنَّ هناك رائحة شراب تنبعث من أنفاسها.

خرج رجل أصلع يرتدي مريولاً من المطبخ، نظر إليها، ثمّ استدار وعاد أدراجه.

«تستطيع أن تبقى هنا بعض الوقت، وترى إن كان بعض الرواد القدامى سيتذكّرون. عادة ما يأتون ابتداء من الساعة الثالثة».

«يجب أن أذهب كي آكل شيئاً».

«مطبخنا مفتوح، تستطيع أن تأكل هنا. لدينا طبق الفلفل الحار الرائع. نحن نُقدّم كلّ شيء».

على حين غرة، لان شيء مُقاوم داخل «رايان».

شعر بالامتنان تجاه هذه السيدة التي جادَت بوقتها كي تهتمّ به: «عظيم. أنا أُحبّ طبق الفلفل الحار. أشكركِ».

قالت له «تامي»: »حسناً، اِجلس هنا عند المشرب وكُل ما شئت منه، أنت زبوني الوحيد، وتستطيع أن تستغلّ ذلك».

جلس «رايان» عند زاوية الطاولة وسمح لكتفيه أن يسترخيا.أحضرت له «تامي» مشروب وزبدية يتصاعد منها البخار، عامرة بالفلفل الحار مع البصل والجبن.

كانت أفضل ما تذوّق في حياته. إنَّ تناولها وهو يستمع إلى «تامي» تتحدث، أضفى عليه توردا دافئاً. شعر لأول مرة منذ زمن طويل بالارتياح.

سألها: «إذاً فقد عملتِ هنا منذ أن كنتِ شابة؟».

«أجل، تستطيع أن تتخيّل إلى متى يعود ذلك».

«أعتقد أنّك شاهدتِ كلّ وجه من وجوه الطبيعة الإنسانية».

«هذه هي الحقيقة، على الرغم من أنّني رأيتُ غالباً وجهها الأسوأ. بيد أني ترعرعتُ في عائلة صغيرة عظيمة، إذ كان كلّ واحد مُتمسّك بالآخر حتى في أحلك الأوقات».

رشف «رايان» رشفة من مشروبه: «هذا رائع بالتأكيد. هجرنا والدي مُباشرة بعد ولادتي، حرفياً، بينما كانت أمي لا تزال في المشفى معي».

قالت «تامي»: «هذا قاسٍ، حقاً قاسٍ، لا أستطيع أن أفهم كيف يُمكن لرجل أن يفعل ذلك».

«ولا أنا. لقد تركها في حالة مُزرية، مع ثلاثة أولاد، ودونما عمل».

«ألم يُرسل لها أيّ نفقة للأولاد؟».

هزَّ «رايان» رأسه قائلاً: «أبداً. وانتهى بنا المطاف

جميعاً في دار الرعاية. عند عوائل مُختلفة».

نظرَت إليه «تامي» بتعاطف صادق. هذا ما أراده، وما عرفه: إنسان يهتمّ به بكلّ بساطة.

«ولم تتّصل بوالدك على الإطلاق؟ لا شيء؟».

«كلا، خلال خمس وأربعين سنة، ولا مُكالمة هاتفية واحدة. لقد حاولتُ اقتفاء أثره. بعد الكلية، أمضيتُ سنتين كاملتين وأنا أبحث عنه، لم أصل إلا إلى بضع قصص، وكانت البقية مُجرّد إضاعة وقت».

«ماذا عن إخوتك. ألم يُساعدوك في بحثك؟».

«لم يهتمّوا أبداً بمعرفته. على عكسي، إنّهم أكبر مني بما يكفي كي يكون لديهم بعض الذكريات عن الرجل، وأنا واثق أنّها ذكريات رهيبة، بينما لا أملك أنا سوى مُخيلتي».

ثمّ جاء زبون وانشغلَت «تامي» به: «سوف أعود حالاً».

فكّر «رايان» وهو يجلس هناك عند المشرب، كيف لم يسمع من أخويه شيئاً منذ عدة سنوات، منذ تلك الزيارة عندما كان في الثلاثينيات، والتي جعلته يشعر بالانزواء عنهم لأنّه أصبح جلياً أنّه الوحيد الذي ناء بحمل المظالم طويلة الأمد حول طفولتهم.

التقوا منذ عدة سنوات بناء على طلب «رايان» في مطعم

في «بيتسبيرغ»، حيث استقر بأخيه «جيم» المقام. كان قد كبُر وأصبح مُحافظاً ومُقتصداً ومسيحياً جديداً، أنجب ثلاثة أولاد قبل بلوغه الثلاثين. أمّا «ديف» فقد كان مُحافظاً هو الآخر، وقد ترشّح لمنصب في المُقاطعة في بلدة صغيرة في «أوهايو». كان شمّاساً في إحدى الكنائس، وتزوّج شابة بدينة تُواجه صعوبة في حمل الأولاد. بالمُقارنة معهم كان «رايان» ليبرالياً جامحاً، أما «صوفي» فقد كانت مُناصرة جريئة لقضايا المرأة.

كان «رايان» قد اقترح عليهم أن يلتقوا كي يتمكّنوا من مُناقشة سنوات حياتهم المُبكرة، ويُقارنوا ملاحظاتهم حيال تجاربهم. بيد أنَ أخواه لم يكونا مُهتمين بإحياء ماضيهما. في الحقيقة بدا أنَّهما تقبّلا بسهولة حياتهما في دور الرعاية وخسارتهما لوالدهما، وتمكّنا من أن يكونا طبيعيين قدر الإمكان مُقارنة مع ما اعتبره «رايان» الصدمة النفسية العظيمة في حياته.

***

قال «جيم»: «رايان»، لا نرغب أنا و«ديف» في الاستمرار في إثارة هذا الأمر. لدينا حياة سعيدة. ولقد وجدتُ أبي «الحقيقي» في «المسيح». والبقية هي مُجرّد ماضٍ لا معنى له».

لم يستطع «رايان» أن يُصدّق الخيانة التي شعر بها بين

طيات هذه الكلمات. لماذا لا يحنق أخواه على طفولتهما مثله؟

«أجل، لقد عانى الجميع طفولة صعبة»، هكذا لخّص «ديف» مشاعره: «هناك الكثير من الناس محرومون من آبائهم. ما الذي تبحث عنه، اعتذار أم تعويض؟».

بل الانتقام هو أقرب وصف لما يبحث عنه، هذا ما فكّر به «رايان»،ولكنّه لم يكن ليُخبرهما بذلك.

***

عادت «تامي» وجلسَت جانبه.

تابع «رايان» كلامه كما لو أنّهما لم يتوقّفا عن الحديث:

«في الحقيقة، لقد رأيتُ والدي مرة واحدة عندما كنتُ طفلاً. كان ذلك بعدما أخرجتني أُمّي مع أخوتي من دور الرعاية. كانت قد تزوّجَت ثانية. كنتُ رُبّما في السابعة أو نحو ذلك حينها».

إنتظرَ لحظة كي يرى إن كانت «تامي» لا تزال مُهتمّة. سألَت: «ماذا حدث؟».

«كنا مجموعة من الأولاد نتسكّع عند قارعة الطريق ذات ليلة. كان أخواي يتقاذفان كرة القدم، وكان الجو حاراً، ولم نكن نُحبّ المكوث في البيت، لأنَّ زوج أمنا موجود هناك، وكان يشرب كلّما كان عاطلاً عن العمل.

يبدو أنَّه كان مُمتعضاً من إحضار والدتنا لنا، كنتُ دائماً قلقاً من أن تتمّ إعادتي إلى دار التبني، ولذلك بقيتُ بعيداً عنه، وتبعتُ أخوتي أينما ذهبوا».

«طارت كرة رماها أخي الأكبر «جيم» فوق رأس الجميع، وتدحرجَت إلى الطريق. ركض إلى حيث حطت الكرة في مزراب قرب شاحنة قديمة. عندما كان في مُنتصف طريقه إلى هناك، وقف مُتجمّداً هناك. وبدا كأنَّه أُصيب بالشلل».

كانت الشاحنة من النوع الذي كنتِ ترينه في الأرياف آنذاك، قديمة وصدئة، مليئة بالخدوش والضربات. كان الدخان الأسود الكثيف يخرج من العادم في المُؤخرة، بينما يخرج دخان سجائر من النافذة المفتوحة.

في داخلها كان هناك رجل يرتدي قبعة بيضاء، وقد كان يُراقبنا ونحن نلعب.

«سألتُ «جيم» ما الخطب، لكنَّه لم يُجبني. وما إن اقتربتُ حتى حرّك الرجل السيارة وابتعد. ألقى «جيم» الكرة أرضاً، وراح يركض وراء السيارة».

صاح به: «هيه!». اندفعتُ وراء «جيم». تبعتُه بأسرع ما أمكنني. لم أفهم ما الذي كان يحصل. عندما لحقتُ به في نهاية المطاف، وقفتُ ألهث لحظة ثمّ سألته: «مَن كان هذا؟»».

نظر إليَّ «جيم». لن أنسى وجهه ما حييت، فقد بدا مُمزق الأوصال.

قال: «كان ذلك والدنا».

«طالما اعتقدتُ أنَّ والدي كان نوعاً من المخلوقات الأسطورية، وليس إنساناً من لحم ودم يقود شاحنة، ولكن بعد تلك الحادثة، عرفتُ أكثر، وقد يكون ذلك ما دفعني إلى بدء بحثي من أجل العثور عليه».

كفَّ «رايان» عن الكلام، ووقفَت «تامي» صامتة برهة.

سألته: «إذا عثرتَ عليه، ماذا ستفعل؟».

«بصراحة، لا أعلم. أعتقد أنَّني في حاجة كي أراه وحسب، أن أسمعه يقول إنه آسف، لا أعلم، أيَّ شيء. مهما كان ما سيحدث ،فأنا في حاجة إليه، لا أستطيع إبقاء الأمور مُعلّقة هكذا. لقد أضعتُ الكثير من الوقت. أشعر أنَّ حياتي بأكملها تتهاوى. في هذه اللحظة يُفترض أن أكون في غداء عمل في «سان فرانسيسكو»، وبدلاً من ذلك أجدني هنا».

نظر إلى ساعته وقال: «يجدر بي أن أذهب. لا يُمكنني أن أنتظر الزبائن طيلة اليوم».

«على الأقل هل وجدتَ طبق الفلفل الحار لذيذاً. هل أحببته؟».

«أجل، أحببته. أشكركِ «تامي» على الاستماع إليّ».

«حظاً مُوفقاً عزيزي. أخبرني إذا حدث معك شيء».

أمسك رايان يدها برهة، ابتسمَت له، ثمّ أفلتها.

أخرج مفاتيحه وهو يتوجّه نحو الباب، ثمّ توقّف مُتردداً أمام حائط مليء بالصور القديمة المُعلّقة على طول القاعة.

تفحّصها، تسارع نبضه عندما وقع بصره على صورة جعلته يتجمّد.

كان هناك في الصورة رجل مخمور جالس عند المشرب، وهو يرتدي قبعة بيضاء. كان ذلك والده، الذي بدا أكبر سناً وتعرضاً لعوامل الزمن من الصورة التي لديه، وذراعاه تحتضنان سيدتان أصغر سناً منه.

التقط الصورة ومشى نحو «تامي».

«لا أُصدّق. إنّه هو».

أمسكَت الصورة ووجهتها نحو الضوء كما لو كانت ورقة من فئة عشرين دولار مشكوك في أمرها.

«أجل! تذكرته الآن. لم أرَ وجهه بهذا الوضوح من قبل. دعني أُخبركَ، كان لديه مزاج مُتقلّب. لقد تورّط في بعض العراك القذر هنا».

« لم أتفاجأ. ما الذي تذكرينه غير هذا؟».

أشارت «تامي» إلى إحدى الفتاتين في الصورة.

«هذه «كيتي». رُبّما كانت فتاته حينها، لستُ مُتأكّدة. لا زالت في الجوار إن كنتَ ترغب في التحدّث إليها».

أرشدته «تامي» إلى متجر إيداع أمانات على بعد شارعين من هنا. شكرها «رايان» مُجدداً، وضع الصورة في جيبه، ثمّ غادر الحانة ومضى في طريقه. كانت واجهة المتجر قديمة، وفي نافذته تمّ عرض زي رسمي مُستنفذ، عبارة عن فستان من الساتان الأحمر مع زركشة من الأمام، بالإضافة إلى بدلة «توكسيدو» بيضاء ذات طية صدر من طراز سبعينيات القرن الماضي. عندما دخل باغتته رائحة سوائل التنظيف الجافّ والنفتالين. لم يكن المتجر مُمتلئاً بالملابس وحسب، بل بأحذية بالية، وبضائع أطفال، ودمى مُستعملة، وحيوانات محشوة.

لم يكن هناك أيّ مُتسوّق.

رأى «رايان» صاحبة المتجر قبل أن تراه هي.

كانت نظاراتها جاثمة على أنفها وهي تقرأ كتاباً، وكان وجهها شاحباً ومُجّعداً، ولكن عندما نظرَت إليه، استطاع «رايان» أن يُميّز تلك المرأة الشابة التي في الصورة.

«هل أنت «كيتي»؟».

نظرت المرأة إليه باستغراب، كما لو أنَّها رأت شبحاً.

«مَن يُريد أن يعرف؟».

سحب «رايان» الصورة التي أخذها من المطعم، وعرضها أمامها كي تراها: «أعتقد أنَّك رُبّما عرفتِ والدي ذات يوم».

واصلت «كيتي» النظر إليه وهي تأخذ الصورة بيدها.

قالت بنعومة: ««بوب كيلغور». يا له من أحمق. من الصعب تخيّله كأب». نظرَت إلى الصورة دقيقة أُخرى: «كانت السيدات يُحببنه، وكان يستغلّ ذلك أيَّما استغلال. كان يسرق أموالهنّ، ثمّ يجعلهنّ يرغبْنَ أن تُعطينَ المزيد».

«أنا لا أقصد التدخّل في شؤونك، لكن هل كنتِ أنت وهو...».

قالت وهي تُعيد الصورة إليه: «كلا، مُستحيل، أنا لم أقترب أبداً من تلك الأفعى. بيد أنَّ «ساندي» هناك كانت تُرافقه بين فترة وأُخرى. بيد أنَّه كان يُصادق عدة نساء على هامش مُرافقته لها، الأمر الذي كان يجعلها تغار، فتنشب بينهما شجارات، أو سمّها ما شئت، وغالباً ما كان ذلك يترافق مع شرب الكحول والطرد من مكان ما».

قال «رايان»: «أستطيع تخيّل ذلك».

«في نهاية المطاف هجرها «بوب»، وتركها في حالة مُزرية».

سأل «رايان» فجأة وبجدية: «ماذا عنه؟ هل تعلمين أين هو؟».

«حسناً، في السجن على ما أظنّ... آسفة».

كان هناك وقفة بسيطة.

فكّرت لحظة: «هل تعلم، لقد رأيتُه مرة أُخرى منذ عدة سنوات في حفل شواء في «مونت ريو».

«أين ذلك؟».

«بلدة صغيرة في الجوار».

«منذ متى؟».

«دعني أتذكّر. سبع أو ثمان سنوات، رُبّما أقل.

لقد بدا مُتعباً، ولم يكن لديه السحر ذاته. سمعتُ أنَّه انتقل كي يعيش مع سيدة أرملة لا أذكر اسمها. كانت تملك فندقاً اسمه «البيت الفيكتوري القديم» في أعلى شارع «دوكر». سمعتُ أنَّه مهجور الآن، وقد لا يكون موجوداً. رُبّما لا يزال هناك. هل تُريد أن أرسم لك الخريطة؟».

شعر «رايان» أنَّه قريب من حلّ اللغز الآن. يا تُرى ماذا سيجد وكيف سيُغيّره ذلك؟ هل يجب أن يبتعد كما كانت «صوفي» تقترح أحياناً؟ لقد كان بحثه طوال الوقت أشبه بصندوق «باندورا»، والآن يُوشك أن يفتحه. اِبتلع ريقه وسحب قلماً من جيبه مع بطاقة فندق «كاندل لايت».

قال: «أجل، شكراً».

الفصل السابع

قاد سيارته ثانية، ولكن هذه المرة بطعم مُختلف في فمه. بدأ الخوف والغضب اللذان غالباً ما اختبرهما وهو يبحث عن والده يختفيان، و لم يكن واثقاً من السبب.

شعر كما لو كان هناك جواب نصب عينيه، أو باب سريّ على وشك أن يُفتح.

لم يستغرقه الوصول إلى خرابة «فيكتوريان» التي كانت تبدو مثل كعكة زفاف مُنهارة، سوى عشرين دقيقة.

كان المكان يُذكّر بأفلام الرعب، بحدائقه التي نمَت من غير تشذيب، نوافذه المُغلقة بعوارض خشبية، وشرفته المُزخرفة المُتفسّخة. تناثر السجاد المرمي، والصحف، والزجاجات الفارغة على العشب.

ترجّل من السيارة ومشى نحو الباب الخلفي، الذي كان غير مقفول، ويتأرجح كي يفتح من أدنى لمسة. دخل إلى المكان. كان هناك رائحة حيوانات برية نتنة، وأكوام من الروث في كلّ مكان. بدا أنَّ حيوانات الراكون والسناجب قد اتخذته مسكناً، وكان هناك كذلك أثراً لأشخاص تركوا وراءهم مُخلفاتهم المُقرفة.

كانت هناك قوارير زجاجية على الأرضية، غلايين وولاعات قديمة، كومة من زجاجات «الويسكي». حدَّث «رايان» نفسه قائلاً: «إنه الترياق المُتداول بين الريفيين اليائسين، الكوكايين والمسكرات».

عند الحائط البعيد كان هناك زاوية نوم موقتة وهي عبارة عن مرتبة مليئة بالبقع وكتلة من البطانيات. على الأرض بالقرب من ذلك الفراش، عثر «رايان» على كومة مُهترئة من المجلات الإباحية، وبقايا شموع مُحترقة، وأعقاب سجائر. كان هناك أيضاً كومة من الملابس قرب الفراش رطبة وعفنة الرائحة. كان العنصر الوحيد الذي استطاع التعرّف عليه هو القبعة المهترئة. التقطها، وقد بلغ قلبه إلى حنجرته، ثمّ تراجع إلى الدرج الخلفي للمنزل، وهو يُمسك بها من حافتها.

كان هناك كلب عجوز من فصيلة «جيرمان شيفرد» يُراقبه من قريب، اقترب ببطء مُحركاً ذيله، مُطأطأً رأسه.

عندما وصل الكلب إليه، اشتمّ رائحة القبعة القديمة، بينما راح «رايان» يُربّت عليه. كان الكلب يضع طوقاً بالياً يحمل اسم «هاري»، مع رقم هاتف لم يعُد مقروءاً.

اشتمّ الكلب قدم «رايان»، كأنَّه ميز رائحة أساسية لديه.

سأله «رايان»: «هيه، يا صديق. هل كنتَ تعرف أبي؟».

نظر الكلب إلى «رايان» بعينين ذابلتين، وهزَّ ذيله بقوة أكبر. بدَت نظرته أكثر بلاغة من كلّ مَن التقاهم «رايان» منذ أيام. كان من الواضح له أنَّ هذا المخلوق قد عرف وأحبّ والده.

فكر «رايان»: إنَّه بالقرب من هنا، كانت المرة الأولى التي شعر بذلك بهذه الدرجة من اليقين.

***

وهو يمشي عائداً من المنزل، وقف «رايان» فوق جسر وراح يُحدّق في هاتفه الخلوي مُقلّباً صور «لوغان» و«صوفي». اتصل برقم «صوفي».

«مرحباً، لقد اتصلتَ بمنزل «رايان»، «صوفي»، «لوغان»، «ميتزي». نرجو ترك رسالة». صفارة.

«مرحباً، هذا أنا، لا أعلم إن كنتِ هناك أم لا، اتصلتُ فقط كي أقول، في الواقع، اِتصلتُ كي أقول ثانية إنني

آسف. لقد سئمتُ من سماع نفسي وأنا أقول ذلك. أتخيّل أنّك سئمتِ سماع ذلك أيضاً. هكذا رُبّما ما أنوي قوله هو إنّني، لقد اتصلتُ فقط كي أُخبركِ أنّني أُحبكِ، وأُحبّ «لوغان» أكثر من أيّ شيء في هذا العالم».

***

قاد «رايان» لاحقاً سيارته إلى مركز البلدة، ومرّ بمسرح «مونت كارلو» الذي كانت لافتته القديمة تُعلن بأحرف مكسورة عن «الوصايا العشر».

كان هناك رجل في الأربعينيات من العمر، يهزُّ كرسيه أمام المسرح وهو يشرب الشاي المُثلج ويُدخّن سيجارة.

ركن «رايان» سيارته في موقف بالقرب من المسرح. أومأ له الرجل بطريقة ودودة وهو يتوجّه نحو المقهى المُجاور. جلس «رايان» عند المشرب الخافت القريب من نافذة تُطلّ على «النهر الروسي».

كان النهر الكبير والسريع مشهوراً بصيد سمك الحفش، والسهول الغنية. في الأسفل كان هناك رجلان في زورق مُنهمكان في العمل، يُحاولان تحرير غصن شجرة عالق بقطعة غرانيت، وقد تجمّعت عنده كتلة من الحطام تسدّ المجرى.

وجد «رايان» هذه العملية ساحرة بحيث لم يسمع

النادلة، وهي امرأة شابة ضئيلة البنية في العشرينيات من عمرها، عندما وقفَت وراءه:

«مرحباً. ما الذي أستطيع تقديمه لك؟».

حملق فيها، كانت تضع أقراطاً في أنفها وشفتها، أما شعرها فقد كان بني اللون وخفيفاً.

«فقط كوب من القهوة».

أخرج «رايان» صورة والده ووضعها على الطاولة.

في الأسفل، كان الرجلان قد ربطا حبلاً حول الغصن، وراحا يُحاولان جرّه إلى الضفة.

انحنَت فوق كتف «رايان» وهي تضع قهوته على الطاولة.

سألَت: «هل هي صورة راعي البقر؟».

نظر «رايان» إليها: «راعي البقر؟ هل تعرفينه؟».

بدَت عصبية: «حسناً، إنَّه يُشبه شخصاً كان...».

«كان ماذا؟ هل كان يأتي إلى هنا؟ أخبريني، فالأمر مُهمّ جداً».

نظرت إليه النادلة نظرة شكّ: «لماذا هو مُهمّ؟».

«حسناً، لأنَّه والدي، هل هذا مُهمّ كفاية؟».

إحمرّ وجهها: «آسفة. رُبّما يجب أن تتحدث إلى رئيسي في العمل. كان يعرف راعي البقر جيداً.إنَّه هناك». دخل الرجل الذي كان جالساً أمام المسرح، وصبَّ لنفسه بعض الشاي المثلج من على المنضدة. نادَت عليه وقالت: هذا «آندريه».

كان «آندريه» رجلاً ضئيل الجسم، ذا شعر مُتموّج ولحية، ومظهر ودود ليّن. كانت تنبعث منه رائحة التبغ وعطر المسك الذي يستخدمه بعد الحلاقة. سأل: «كيف يُمكنني مُساعدتك؟».

أراه «رايان» الصورة: «أتساءل إن كنتَ تعرف هذا الرجل. اسمه «روبرت كيلغور» إنّه والدي».

ابتسم «آندريه» وهو يفحص الصورة، ثمّ أعاد نظره إلى «رايان»: «اعتقدتُ أنَّ وجهك يبدو مألوفاً. بالطبع أعرفه. أنت ابنه؟».

أومأ «رايان».

مد «آندريه» يده: «سررتُ بلقائك».

«هل تعلم أين يُمكن أن أجده؟».

ذبلت ابتسامة «آندريه»، ونظر إلى النادلة: «حسناً، تلك قصة أُخرى».

«ماذا تقصد؟».

«دعنا نتحدّث في الخارج، لكنَّني سأتصل بالشريف أولاً...».

لم يدرِ «رايان» لماذا كان يُريد الاتصال بالشريف، لكنَّه كذلك لم يكن يرغب أن يسأل. تبع «آندريه» وهو يهبط بضع درجات إلى مطبخ المقهى الحار، المُزدحم، وصولاً إلى الفناء الخلفي. قال «آندريه»: «إمنحني دقيقة».

عندما عاد، جلس إلى جانب «رايان» على أحد كراسي الفناء وتنهّد. تحدث الاثنان عن المنطقة قبل أن يُوجّه «آندريه» الحديث عن والد «رايان».

«لقد عرفتُ والدك مُدة طويلة، وقد أمضى أيامه الأخيرة هنا».

قال «رايان»: «أيامه الأخيرة؟»، وكأنَّ عقل «رايان» كان يلهث وراء الكلمات: «تقصد أنّه مات؟».

«أنا آسف جداً، أجل»، ومن قسمات وجهه استطاع «رايان» أن يُدرك أنَّه كان يعني بصدق ما قاله.

مشَت السيدة التي كانت تتبوأ منصب مُديرة الشرطة حول الزاوية ثمّ توجّهَت نحوهما. كان من الواضح أنَّ «آندريه» قد تحدّث إليها بالفعل. قالَت وهي تنظر إلى ورقة رسمية: «أعتقد أنّني وجدتُ شيئاً بخصوص «روبرت كيلغور»، هذه نسخة عن شهادة الوفاة. لقد تُوفّي في الثامن من آب 2007، في جمعية «كايزر» في «سانتا روزا»، من مرض تليف الكبد».

جلس «رايان» صامتاً لحظة. ما الذي كان يتوقّعه؟

أليس هذا، بطريقة أو أُخرى. في كلّ المشاهد التي أدارها في تفكيره، كان والده موجوداً دائماً كي يُواجهه، يُعانقه، أو يتجاهله. كان صوتاً. كان حضوراً.

طالما آمن أنَّه سوف يعثر عليه في الوقت المناسب.

«هل ذكر أفراد عائلته؟».

«أجل. في الحقيقة، ذُكر هنا أنَّ آخر عمل قام به، أنه أراد أن يُدوّن أسماءهم بنفسه: «ديف»، «جيم»، «رايان».

أجابها «رايان»: «شكراً».

بعد مُغادرتها قال لـ «آندريه»: «هل تُمانع أن تُخبرني بكلّ ما تعرفه؟».

جلس «آندريه» ثانية وقال: بالطبع. كنا ندعوه «راعي البقر» بسبب تلك القبعة وحُبّه لأفلام الغرب الأمريكي. لقد كانت أفلام «جون واين» هي المُفضّلة لديه. لم يكن يملك المال على الإطلاق، لكنّنا كنا نُقدّم له الطعام على أيّ حال. كان ذلك أفضل من تركه يبحث في حاوية القمامة. كان دائماً يقول لي إنَّه سوف يدفع عندما يتحقق هذا الأمر أو ذاك. كان يتحلّى بقدر كبير من الكبرياء، ولكن كان بإمكاني أن أرى أنَّه لم يكُن على ما يرام.

«أعتقد أنَّ «مادلين» التي كان يعيش معها هناك في أعلى التلة قد تركَته عندما بدأت صحته بالتدهور. الأمر الذي كان صعباً بالتأكيد.

بيد أنَّه قال إنه كان يستحقّ ذلك، مهما كان ما يعنيه ذلك. لقد كان مُدمناً بشدة على الخمر.أعتقد أنَّك تعرف ذلك». أومأ «رايان».

تابع «آندريه»: «كان دائماً يقول إنه ينوي العودة إلى الساحل الشرقي. كان يقول إنّ لديه أسرة هناك، ولكنَّي كنتُ أعلم أنَّه لن يذهب إلى أيّ مكان. كانت صحته مُتقلّبة، و لم يكن يملك المال. في عام 2007، لم نره بضعة أشهر، ثمّ ظهر ذات صباح، وكان في حالة سيئة. لقد بدا في وضع مُزر، وكان شاحباً، نحيلاً، وبالكاد استطاع المشي، وأراد أن يعلم إن كنت أسمح له بالجلوس في المسرح بعض الوقت.

أراد أن يجلس وحسب. كان يوماً رطباً وكان لدينا تكييف هواء جيد، ولذلك وافقتُ. جلس في المسرح طوال اليوم، حتى موعد الإقفال، ثم... أخفض «آندريه» رأسه. «اتصلَت النادلة «تيريزا» بالإسعاف».

سأله «رايان» بعد برهة: «هل تُمانع أن أرى المسرح من الداخل؟».

«بالطبع. اِتبعني».

***

كان التصميم الداخلي للمسرح من الطراز القديم،

كانت المقاعد من المخمل الأحمر، أمّا السجاد فقد كان مُهترئاً وعليه رسمات ورود: «أودُّ أن أجلس هنا لحظة إذا لم يكن لديك مانع».

قال «آندريه»: «لا مُشكلة، سأُوافيك لاحقاً».

مشى «آندريه» في الممر، ثمّ أغلق الباب الثقيل، تاركاً المسرح شبه مُظلم. كان المسرح تحت تصرّف «رايان»، راح يستمتع بالهدوء، وفكرة أنَّ هذا هو المكان الذي أمضى فيه والده آخر لحظاته الواعية.

***

بعد ساعة من الوقت، وقف «رايان» على الجسر وهو ينظر إلى النهر الروسي. لم يكُن مُتأكّداً ممّا فعله خلال الساعة السابقة. تذكّر أنّه مشى إلى الطريق العام وحدّق في نافذة. تذكّر شعوره أنه ينبغي عليه أن يتّصل بشخص ما، وأنّه نظر إلى هاتفه، ثمّ أعاده إلى جيبه. لم يكن يرغب سوى بالمشي، وانتهى به السير إلى هذا المكان.

هناك في أسفل الجسر كان الرجلان اللذان في القارب قد تمكّنا أخيراً من سحب جذع الشجرة والقمامة العالقين في الصخور. كانا يقفان على الضفة كي يُفرغا القاذورات في أكياس بلاستيكية كبيرة.

مشى «آندريه» نحو «رايان».

«تمكّنا أنا ومديرة الشرطة من تتبع مكان دفن والدك، إن كان ذلك يهمك».

«أين؟».

«قرب «سيباستبول»، إنَّها ليست مقبرة نظامية، بل هي أقرب إلى حقل يُدفن فيه الأشخاص الذين ليس لديهم علاقات؟».

«تعني الأشخاص المعوزين؟».

أومأ «آندريه»: «إنَّها على الطريق السريع «بوهيميان»، تماماً خلف نادي مبيت وفطور جديد. إذا رغبتَ سوف أُعطيك الاتجاهات».

فكّر «رايان» لحظة، ثمّ هزّ رأسه.

«كلا، لا بأس. أعتقد أنّني نلتُ ما فيه الكفاية حتى الآن. أشكرك على مساعدتك».

«لا مشكلة. أتمنى لك حظاً مُوفقاً».

استدار «رايان» وبدأ يمشي عائداً في اتجاه موقف السيارات. بعد عدة ياردات، توقّف كأنَّ أمراً قد خطر له. دون أن يلتفت، صاح قائلاً: «ما اسم نادي المبيت والفطور ذاك؟».

فندق «ضوء الشموع».

مدّ «رايان» يده إلى جيبه وأخرج البطاقة التي سحبها من فتحات مكيف السيارة.

سأله «آندريه»: «هل تُريد العنوان؟».

«لا، شكراً. إنّه في حوزتي».

***

وصل «رايان» إلى النزل في وقت مُتأخر من بعد الظهيرة. خرج من سيارته واقترب من البناء المبني على الطراز المتوسطي، حيث كان السقف حجرياً ومطلياً باللونين الأبيض والأصفر. قرع الباب، وتمّ الترحيب به ودعوته إلى الدخول من زوجين شابين يرتديان ثياباً عملية، كانا ودودين وحريصين على الإجابة على أسئلته، عندما أخبرهما إنّه هناك كي يُلقي نظرة على مدفن والده. أرشدته السيدة الشابة إلى أطراف الحقل وأخبرته أين سيجد الأحجار.

سار «رايان» بحماس، وشقّ طريقه عبر مرج من الزهور البرية والأعشاب التي داعبتها الرياح. راحَت طيور نقار الخشب «كاتيديدس» تُغني حوله نشيداً من عالم آخر. تذكّر الآن أنّ أحدهم أخبره إنّ ذكور تلك الطيور تُحوّل نفسها فعلياً إلى آلات موسيقية كي تُصدر تلك الأناشيد.

سُرعان ما وجد «رايان» نفسه واقفاً أمام مُنحدر مُحاط

بأشجار البلوط الأبيض المُعمّرة. تابع سيره إلى أسفل التلة. كان يوماً خريفياً دافئاً وصاحياً. حلّق عصفور برتقالي الصدر فوقه، أضاءَت حشرة زرقاء قزحية اللون على ذراعه، طار سرب من الفراشات ذات اللونين الأزرق والأصفر فوق بركة موحلة. لقد كانت الطبيعة أصفى وأكثر انسجاماً معه من أيّ وقت سابق.

بدأ السير في مُحاذاة مجموعة من الصلبان الخشبية، ثمّ التفت إلى اليسار في اتجاه منطقة وُضعَت فيها شواهد قبور مغروزة في الأرض، وقد حجبَت الأعشاب والحشائش بعضها. كان على وشك أن يتخطّى الحجر الذي حمل اسم والده «روبرت لايل كيلغور» «1939 - 2007». وقف بصمت، مُحدّقاً فيه مع شعور بعدم التصديق. كان يعلم أنَّ هذا ما كان يبحث عنه، ومع هذا ولسبب ما، حمل في قلبه إيماناً سرياً أنَّ والده لا يستطيع أن يموت حتى يجتمعا فعلياً، ويُقرران شيئاً بشأن الأسى الذي بينهما.

قال مُحدّقاً في الصخرة: «لقد كرهتُكَ طوال حياتي، لقد حملتُ هذا الغضب طوال تلك السنين، وآذيتُ مشاعر كلّ مَن حولي بسببك أنت». توقف هنيهة كي يبتلع الألم: «أبي، أردت فقط أن...».

شرع «رايان» في البكاء.

عندما رفع عينيه ثانية، رأى والده في الجانب الآخر من

الحقل، جالساً على صخرة، ووجهه نحو الغرب، ينظر إلى الأسفل إلى حذاء رعاة البقر الذي ينتعله. بدا مُتعباً ومُنهكاً أكثر من أيّ وقت مضى، ولكن في قسمات وجهه كان هناك نوع من الراحة الخشنة. في صورته لم يرَ «رايان» أيّ وحش، وإنّما مُجرّد نسخة بديلة عنه.

«أبي، أراك الآن ، أراك على حقيقتك. لستَ عدواً. أنت مُعلّمي. منذ هذه اللحظة وصاعداً، سأبعث لك الحُبّ. من الآن فصاعداً سأُرسل لكَ الحُبّ وحسب».

أنصتَ إليه «روبرت» دون أن يتحرّك. لكنّه أدار وجهه ببطء نحو ابنه، وللمرة الأولى نظر في عينيه. كانت عيناه زرقاوين هو الآخر، لم يكن «رايان» يعلم ذلك من قبل، وكانتا غارقتين في الدموع ممّا جعلهما تتلألآن.

لم يكن بالأمر الكثير، ولكن بالنسبة إلى «رايان» كان ذلك كافياً.

هبَّ نسيم رقيق من خلال الأشجار ممّا جعل الأوراق تُصدر حفيفاً، وفي لحظة من اللحظات اختفى والد «رايان».

الفصل الثامن

عند العودة إلى «سان فرانسيسكو»، وقف «رايان» أمام غرفة المؤتمرات، وراح يكتب على لوحة المُلصق التي فيها الإعلان عن مُحاضرته. لقد أجرى تعديلاً على المُلصق بقلم التحديد الأحمر بحيث أصبح ينصّ على عبارة: «كيف يُمكننا شفاء هذا الكوكب المُتنوّع». بعدما كان العنوان: «كيف دمّرنا هذا الكوكب المتنوع».

خارج غرفته، اِحتشد عدد من الناس يحتسون القهوة ويبحثون عن حلقة نقاش ينضمّون إليها. قام الأكاديمي طويل القامة وأصلع الرأس الذي تحدّث إلى «رايان» عند المصعد بالتوقّف وتفحّص برنامج «رايان»، وقد لاحظ العنوان الجديد على اللوح قبل أن يدخل إلى قاعة المحاضرات.

ساعدَت «آمبر» المُتطوعة في المؤتمر «رايان» في توزيع نسخ من كتابه على كلّ الحضور.

قال أحدهم: «هل أعطيتموني هذا الكتاب بالمجان؟ مكتوب هنا أنَّ سعره 14.95 دولاراً».

أجاب «رايان» وهو يبتسم: «حسناً، تلك هي الطريقة الوحيدة التي تجعلني مُتأكّداً أنَّ أحداً سيقرأه».

ضحك العديد من الأشخاص، وهم ينظرون إلى الكتاب بفضول، وقد قلبوا الكتاب كي يقرؤوا الوجه الخلفي.

جلس «رايان» بين الحضور بدلاً من أن يجلس بعيداً عنهم. كان أسلوبه سلساً ومُرتاحاً، وكان يمزح ويتحدّث معهم كما لو كان يُجري حواراً وليس مُحاضرة. عوضاً عن سترته العادية وسرواله الفضفاض، اختار اليوم أن يرتدي بلوزة قطنية بسيطة، وسروالاً من الجينز.

«عادة ما يكون المنهج الحديث في إيصال فكرة مُهمّة، مُباشراً وصريحاً. نحن نُحبّ استعمال الحقائق والأرقام والمنهج التحليلي. بيد أني عند العمل مع ثقافات محلية أعرق مثل ثقافتي «الماتيس»، «المايورنا»، لاحظتُ أنَّهم نادراً ما يقومون بإيصال فكرة مُهمّة بتلك الطريقة».

وقف الرجل الأصلع في المؤخّرة وهو يستمع بانتباه. أخرج قلماً وبدأ بتدوين الملاحظات. «إنَّ الحكمة الأصيلة

والأفكار الحقيقية قد تُساعدنا حقيقة على تجاوز العديد من مشاكلنا البيئية الحالية، هذا النوع من الحكمة موجود في هذه الثقافات الأعرق، ولكن يتمّ إيصالها بصورة غير مُباشرة، من خلال القصة والمجاز».

رفعت «آمبر» يدها وقالت: «بروفسور «كيلغور» هلا أعطيتنا مثالاً؟».

مكتبة

«بالطبع. ذات مرة قال رئيس قبيلة «ماتيس» شيئاً لم أفهمه إلا مُؤخّراً. قال: «لا أحد يموت بسبب لدغة الأفعى. ما يقتلك هو السمّ الذي يبقى ويجري داخل دمك بعد اللدغة. سوف يُدمّرك هذا السمّ نهائياً ما لم تتعلّم كيف تُخرجه من جسمك. الأفضل من ذلك، هو أن تستوعب السمّ، وتُحوّل ما كان يوماً سُمّاً زعافاً إلى دواء».

إنَّها فكرة بدائية، لكنَّها في الوقت ذاته فكرة مُتطوّرة للغاية. إنَّ فكرة التأمل في الأمور الأكثر تدميراً في حياتك، والأمور التي سببت لك الألم والمعاناة الشديدين، ومُحاولة إيجاد طريقة من أجل تحويلها وجعلها مُعلّمك الأعظم، هي من أعظم النعم التي بين يديك. هذا ما يُفترض بنا فعله من أجل العالم حولنا. ومن أجل أنفسنا كذلك.

في اليوم التالي، ترجل «رايان» من سيارة أجرة، وجرَّ حقيبته عبر المرج في اتجاه منزله، حيث كانت لافتة ترحيب مُعلّقة أمام الباب الأمامي. جلس «لوغان» مع «ميتزي»

على المرج الأخضر، يُراقبان والدهما وهو يقترب منهما.

اِبتسمَت «صوفي» وهي تقف عند نافذة المطبخ، عندما رأت «رايان» يجلس القرفصاء كي يتحادث ويمزح مع «لوغان». لمح «رايان» من خلال النافذة «صوفي» ولوّح لها بيده. بعد كلّ ما مروا به جميعاً، ما زالت «صوفي» و«لوغان» هناك في انتظاره بعد عدة سنوات من خيبات الأمل، وما زال قلبهما عازماً على تقبّله من جديد. لم يُصدّق كم كان محظوظاً.

عندما خرجَت «صوفي» كي تنضمّ إليهما على المرج الأخضر، عانقَت «رايان» عناقاً طويلاً، مُتجاهلة الهاتف الذي راح يرنّ في الداخل. في نهاية الأمر، أجابت آلة الردّ على المكالمات.

«مرحباً، لقد اتصلتم بمنزل «رايان»، «صوفي»، «لوغان»، «ميتزي». نرجو ترك رسالة».

قال المُتصّل: «أجل أودُّ التحدّث مع د. «رايان كيلغور». اسمي د. «واين داير». أنا أتّصل بخصوص العمل الذي قدمته في مُؤتمر «الكوكب الأخضر الجديد» في «سان فرانسيسكو» البارحة. لم أتمّكن من التقاط سوى جزء من جلستك الصباحية، بيد أنّني مُهتمّ فيما سمعتُه منك، وأعتقد أنَّ كثيراً من الناس يرغبون في سماع ما تقوله كذلك. إذا أمكنك الاتصال بي كي نُحدد موعداً....».

على المرج في الخارج كان هناك طيف شخص يرتدي قبعة رعاة البقر واقفاً في الظلّ يستمع إلى الرسالة الصوتية. ما إن انتهت المكالمة، حتى تردد هنيهة، ثمّ التفت واختفى بين شجرات السنديان التي انتصبت مهيبة وصامتة وراء منزل «رايان».

مكتبة
جديد الكتب والروايات
تابعنا اضغط اللينك
t.me/ktabpdf
t.me/ktabrwaya
facebook.com/newpdf

عن الكاتب

د. «واين و. داير»: كاتب مشهور عالمياً ومُتحدّث، مُحاضر في مجال التنمية الذاتية. مُؤلّف لأكثر من ثلاثين كتاباً، أبدع العديد من البرامج الصوتية والفيديوهات، وظهر في آلاف البرامج التلفزيونية والإذاعية.إنّ كتبه «اصنع قدرك[3]»، «حكمة الأجيال[4]»، «هناك حلّ روحاني لكلّ مشكلة[5]»، والكتاب الأكثر مبيعاً لدار «نيويورك تايمز»: «أسرار النجاح والسلام الداخلي العشرة[6]»، «قوة النية[7]»، «الإلهام[8]»، «غيّر أفكارك، تتغيّر حياتك[9]»،

---

(3) Manifest Your Destiny

(4) Wisdom of the Ages

(5) There's a Spiritual Solution to Every Problem

(6) 10 Secrets for Success and Inner Peace

(7) The Power of Intention

(8) Inspiration

(9) Change Your Thoughts. Change Your Life.

«وداعاً للأعذار[10]»، «رغبات مُحققة[11]» تمّ تقديم جميعها في حلقات خاصة على التلفزيون الوطني الأمريكي العام.

يحمل «واين» شهادة الدكتوراه في الإرشاد التربوي من جامعة «واين ستيت» كما كان استاذاً مُساعداً في جامعة «سانت جون» في «نيويورك».

العنوان الالكتروني:

www.DrWayneDyer.com

«لين لوبر»: كاتبة قصصية وغير قصصية، مُعلّمة، كاتبة مُساعدة. قامت بنشر ثلاثة كتب خاصة بها بالتعاون مع «نورتن وشركاه»، بالإضافة إلى العديد من الأعمال المُشتركة مع كُتّاب آخرين.

إنها مُتخصصة في القصة والرواية الذاتية وتطوير الذات. نشرت مقالاتها في «نيويورك تايمز». لديها كتب صوتية مُوجزة لأعمال كُتّاب مشهورين مثل «جون أبديك» و«أوليفر ساكس» و«أوبرا وينفري» و«غور فيدال» .

العنوان الالكتروني:

www.lynnlauber.com

(10) Excuses Begone!

(11) Wishes Fulfilled.

معلمي الأعظم

على الرغم من أنّه حظي بعائلة محبة ومهنة مُرضية كأستاذ جامعي، بقي «رايان» يحمل شعوراً دائماً بالغضب والغيظ العميقين تجاه الأب الذي هجره لحظة ولادته. عندما ألقت تلك المشاعر بظلالها على زواجه، وعلى علاقته بابنه، أدرك «رايان» وجوب مواجهة هذه الجراح غير الملتئمة كي يتسنى له المُضي قدماً في حياته. في خضم حضوره لمؤتمر أكاديمي، باشر في رحلة اقتفاء أثر والده «روبرت».

على طول الرحلة تعرف «رايان» على أصدقاء ومعارف والده، بينما كان يسترجع ذكريات طفولته.

إنّ رواية «مُعلّمي الأعظم» المبنية على فيلم يحمل الاسم ذاته، وعلى تعاليم المحاضر والمؤلف صاحب الكتب الأكثر مبيعاً د. واين داير، هي رواية مُلهمة تحكي كيف يُمكن لنا أن نُحوّل المُعاناة والألم إلى الغفران والحُبّ، كما تحكي الدروس التي في وسعنا تعلّمها من التحديات الأشدّ صعوبة التي نواجهُها.

د. واين و. داير: كاتب مشهور عالمياً ومُتحدّث، مُحاضر في مجال التنمية الذاتية. مُؤلّف لأكثر من ثلاثين كتاباً، أبدع العديد من البرامج الصوتية والفيديوهات، وظهر في آلاف البرامج التلفزيونية والإذاعية. إنّ كتبه: «أستطيع أن أرى بوضوح الآن»، «رغبات مُحققة» (الصادران بالعربية عن دار الخيال) «اصنع قدرك»، «حكمة الأجيال»، «هناك حلّ روحاني لكلّ مشكلة»، «أسرار النجاح والسلام الداخلي العشرة»، «قوة النية»، «الإلهام»، «غيّر أفكارك، تتغيّر حياتك»، «وداعاً للأعذار»، تمّ عرضها جميعاً في حلقات خاصة على التلفزيون الوطني الأمريكي العام.

يحمل «واين» شهادة الدكتوراة في الإرشاد التربوي من جامعة «واين ستيت» كما كان أستاذاً مُساعداً في جامعة «سانت جون» في «نيويورك». العنوان الالكتروني: www.DrWayneDyer.com

«**لين لوبر**»: كاتبة قصصية وغير قصصية، مُعلّمة، كاتبة مُساعدة. قامت بنشر ثلاثة كتب خاصة بها بالتعاون مع «نورتن وشركاه»، بالإضافة إلى العديد من الأعمال المُشتركة مع كُتّاب آخرين.

إنها مُتخصصة في القصة والرواية الذاتية وتطوير الذات. نشرت مقالاتها في «نيويورك تايمز». لديها كتب صوتية مُوجزة لأعمال كُتّاب مشهورين مثل «جون أبديك» و«أوليفر ساكس» و«أوبرا وينفري» و«غور فيدال».

العنوان الالكتروني: www.lynnlauber.com

دار الخيال
بناية يعقوبيان - بلوك B طابق 3 - شارع الكويت - المنارة - بيروت - لبنان - تلفاكس: 740110 . 009611
www.darelkhayal.com E-mail: alkhayal.com.lb